كتاب الأمة
سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن مركز البحوث والدراسات - قطر
العدد : ١٢٨ ذو القعدة ١٤٢٩هـ السنة الثامنة والعشرون

تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربوياً

د. حصة بنت محمد بن فالح الصغير

حصة بنت محمد بن فالح الصغير

* من مواليد الرياض (المملكة العربية السعودية).
* بكالوريوس تربية ولغة عربية.
* دبلوم عام نحو وصرف.
* ماجستير في أصول التربية.
* دكتوراه في التربية الإسلامية.
* حاصلة على عدد من الدورات في الإرشاد الأسري وتطوير الذات.

كتاب الأمة

سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن مركز البحوث والدراسات - قطر

ص.ب: ٨٩٣ الدوحة - قطر

من شروط النشر في السلسلة

- أن يهتم البحث بمعالجة قضايا الحياة المعاصرة، ومشكلاتها، ويسهم بالتحصين الثقافي، وتحقيق الشهود الحضاري، وترشيد الأمة، في ضوء القيم الإسلامية.
- أن يتسم بالأصالة، والإحاطة، والموضوعية، والمنهجية.
- أن يشكل إضافة جديدة، وألا يكون سبق نشره.
- أن يُوثق علميًا، بذكر المصادر، والمراجع، التي اعتمدها الباحث مع ذكر رقم الآيات القرآنية، وأسماء السور، وتخريج الأحاديث.
- أن يبتعد عن إثارة مواطن الخلاف المذهبي، والسياسي، ويؤكد على عوامل الوحدة والاتفاق.
- يفضل إرسال صورة عن البحث، لأن المشروعات التي ترسل لا تعاد، ولا تسترد، سواء اعتمدت أم لم تعتمد.
- ترسل السيرة الذاتية لصاحب البحث.
- تقدم مكافأة مالية مناسبة.

هذا الكتاب.. يعتبر محاولة جادة في استدعاء معرفة الوحي، وتجديد ذاكرة المسلم المعاصر تجاه ما فيها من الكنوز العظيمة من تراثنا التربوي، وبيان كيفية تعاملها مع عالم الطفولة.

فالطفولة أصبحت اليوم عالماً قائماً بذاته له تخصصاته المتنوعة، التي تتضافر جميعاً لتشكل كيفية التعامل مع هذا العالم وتنميته ومحاولة اكتشاف أبعاده للارتقاء بقابلياته وإمكاناته ومهاراته؛ ففي علم النفس والتحليل النفسي من الشُّعب المعرفية التي تستهدف الأطفال ما يعتبر من العجب العجاب؛ وليس الأمر أقل من ذلك في علم التربية وعلم الاجتماع وعلم الإنسان، فلكل مرحلة عمرية خصائصها ومشكلاتها ووسائل التعامل معها، حتى تجاوز الأمر بالعلماء إلى اقتحام عالم الأجنة.

إن عالم الطفولة لغز مملوء بالأسرار، وهو أشبه بالصندوق الأسود، الذي يحتوي على الكثير من الكنوز، فالطفل بطبيعته لا يستطيع أن يعبر عن شخصيته، لذلك فعالم هذا اللغز ما يزال عصياً عن الإحاطة بعلمه.

وإن ما تحقق لم يتجاوز الضفاف بعد هذه الرحلة الطويلة، ولا أدل على ذلك من أن ما أنتج من هذه الدراسات يبنى على الكثير من الظنون وأحياناً الأوهام، ولعل ذلك عائد إلى طبيعة تكوين الإنسان بشكل عام، فإذا كان الإنسان لم يكتشف ذاته بعد، ويتقلب هو نفسه في أطوار متعددة، وأن الكثير من سلوكه وتصرفاته، التي تشكل نوافذ شخصيته، ليست بالضرورة صادقة ودقيقة وغير ملتبسة، وإذا كان هذا حال الإنسان الراشد، فما بالنا بعالم الطفولة، الذي يتطلب، لقراءته والتعرف إلى أسراره، شفرة خاصة صحيحة ودقيقة تشكل دليلاً للتعامل معه؟

وبإمكاننا القول بكل اليقين: إن هذه الشفرة لا تتأتى إلا عن طريق معرفة الوحي الصحيحة، عن طريق خالق الإنسان، العالم بما خلق، يقول تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

موقعنا على الإنترنت : www. sheikhali-waqfiah.org.qa

البريد الإلكتروني: E. Mail:M_Dirasat@Islam.gov.qa

تعامل الرسول ﷺ

مع الأطفال تربوياً

د. حصة بنت محمد بن فالح الصغير

الطبعة الأولى

ذو القعدة ١٤٢٩هـ

تشرين ثاني (نوفمبر) ٢٠٠٨م

حصة بنت محمد بن فالح الصغير

تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربوياً

الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٨م.

٢٠٨ص، ٢٠سم - (كتاب الأمة، ١٢٨)

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٧٨٩ لسنة ٢٠٠٨

الرقم الدولي (ردمك): ٨-٢٣-٤٤-٩٩٩٢١

أ. العنوان ب. السلسلة

موقعنا على الإنترنت : www. sheikhali-waqfiah.org.qa

www.Islam.gov.qa

البريد الإلكتروني: E. Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

يقول تعالى:

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ
كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(النور: ٥٩)

مركز البحوث والدراسات



تقديم

عمر عبيد حسنه

الحمد لله، الذي أرسل رسله بالبينات، وأنزل معهم الكتاب والميــزان ليقوم الناس بالقسط، فقال تعــالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾ (الحديد:٢٥).

ذلك أن هداية النبوة أو هداية معرفة الوحي للإنسان كانت ولا تــزال لازمة من لوازم حياة الإنسان، على مدار تاريخه الطويل ومراحــل عمــره وأطواره المختلفة، وطبيعة تكوينه العضوي والنفسي، وقدراته الكامنة علــى التكيف والتغيير والتغير، وما يتمتع به من خصائص ذاتية خفية يتفرد بها وإن كانت تتماثل مع غيره بالمطلق، الأمر الذي يجعل من هذا الإنــسان مخلوقــاً شديد التعقيد والتداخل والغموض، فهو لغز بكل ما في الكلمة من معــنى، وهو عالَم مجهول حتى عن نفسه وغيره، وما يعرفه العالم وما حققه العلم في رحلته الطويلة في الكشف عن أغوار الإنسان لا يتجاوز النذر اليسير، حــتى ليمكن القول: إن مجموعة الدراسات الإنسانية والاجتماعيــة لم تتجــاوز

الشواطئ القريبة لشخصية الإنسان وتركيبه النفسي والعضوي وقابلياته وقدراته والتغيرات والاستجابات التي يمكن أن تجرى عليه، كل ذلك يجعل معرفة الوحي هي السبيل إلى معرفة حقيقته وكيفية التعامل معه.

حتى علم النفس الحديث، وكل عمليات التحليل النفسي القائمة على الاستبطان كوسيلة كشف، والاستقراء والاستنتاج كمناهج وأدوات معرفة لم يتجاوز الضفاف، حيث إنه يكتشف كل يوم مجاهيل وأغوار لَمَّا تزل مقفولة، وما يحقق من معلومات تبقى نسبية ومهزوزة؛ لأنها لم تتوصل بعد إلى مرحلة الدقة العلمية، فعلم النفس ما يزال حتى اليوم، رغم الكسب الكبير، الذي حققه، خارج نطاق العلم بمناهجه الصارمة، فهو لا يخرج في أحسن الأحوال عن نوافذ معرفية قد تصدق مع إنسان وتفشل مع إنسان آخر.

من هنا نقول: إن قراءة متأنية في معرفة الوحي في الكتاب والسنة للإنسان: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤)، هي ضرورة علمية ونفسية وعضوية واجتماعية وثقافية ودينية؛ لأنها وحدها تمتلك الشفرة الدقيقة والبوصلة التي لا تخطئ، التي تمكن من قراءة الإنسان.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الهادي إلى الصراط المستقيم، وريث (معرفة الوحي) النبوة، التي رافقت تطور الإنسان في مراحل تحضره المختلفة حتى بلغ سن الرشد، الذي يتلاءم مع تلقي النبوة الخاتمة حيث اكتمال النضج وكمال الدين.

وبعد،

فهذا «كتاب الأمة» الثامن والعشرون بعد المائة: «**تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربوياً**»، للدكتورة حصة بنت محمد بن فالح الصغير، في سلسلة «**كتاب الأمة**»، التي يصدرها مركز البحوث والدراسات، في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، حرصاً منها على استخدام الأدوات المنهجية في القراءة الدقيقة، التي تمكن من استرداد إنسانية الإنسان، وتحقيق كرامته وتأمين كفايته، وتساهم في إيجاد المناخ المناسب لبناء حياته واكتشاف مواطن الإصابة والخلل التي تعتريه، وبيان فضل النبوة تاريخياً ورسالتها في التحضر والترقي وإعداد الإنسان بشكل سليم للاستشعار بالمسؤولية وتحمل الأمانة للقيام بأعباء الاستخلاف والعمران في الأرض وفق منهج الله، والتمحور حول إعداد أو تشكيل إنسان الرسالة الخاتمة لتقديم أنموذج للبشرية يكون محل اتباع واقتداء؛ ذلك الإنسان المسلم، الذي غابت صورته أو تكاد بسبب التشويه الذي يُمارس عليه والضغوط المتعددة والاختراقات المتنوعة التي عبثت بشخصيته وصورته وأقامت الحواجز النفسية بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس، لمحاصرته وشل حركته.

ولعلنا هنا نطرح السؤال الكبير والمستمر: كيف لنا أن نسترد هذا الأنموذج الغائب أو المغيَّب، الذي يثير الاقتداء، فيكون بمستوى قيمه الإسلامية ومنجزات عصره التقنية؟ كيف نسترد هذا الإنسان، إنسان

النبوة الخاتمة؟ كيف نسترد فاعليته، ونعيده إلى الجادة البيضاء النقيــة، الــتي يلحق الهلاك والشقاء كل من يحيد عنها؟ كيف نعيد إليه اليقين بأن تخلفــه وعجزه وسقوطه كان بسبب تنكب طريق النبوة وابتعاده عن تعاليمها وليس بسبب استمساكه بها والتزامه بتعاليمها؟

وإذا كان نهوض أي مجتمع مرهوناً إلى حد بعيد بتوفير ظروف وشروط ميلاده الأول، وأن قولة الإمام مالك، رحمه الله، التي تشكل منهجاً وســبيلاً للإصلاح ومعاودة النهوض: إنه «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بــه أولها»، فإن دراسة السيرة للتعرف على المــيلاد الأول للإنــسان والمجتمــع والحضارة يبقى هو المنطلق، وهو الخطوة الأولى على الطريق الطويل: كيف نُشِّئ إنسان رسالة النبوة؟ وكيف نما إنســاناً ومجتمعاً؟ ما هو المنهج، ما هو دليل الحياة الذي خضع له؟ ذلك أن اســتيعاب النشأة الأولى وســيرورتها هو السبيل لمعرفة الحياة واكتشاف موطن الخلل فيها ورسم طريق النــهوض من جديد إلى أن ينشئ الله النشأة الآخرة.

فالسيرة هي المحضن، الذي تخلقت فيه أجنة المجتمع ونمــت وأثمــرت وقدمت نماذج حضارية إنسانية لا يستطيع الزمن أن يتجاوزها، لذلك نقول: إن أية محاولة لاسترداد الشخصية المسلمة، التي تــثير الاقتــداء، وتغــري بالاتباع، وتدعو الناس بأنموذج لافت، وإقامة المجتمع المسلم بكل مواصفاته وقيمه، ومعاودة إخراج الأمة من جديد، التي يتحقق فيها الحس بالمــسؤولية عن الناس وتحقيــق الــشهادة علــيهم: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾

(البقرة:١٤٣) والاضطلاع بمسؤولية الرقابة العامة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، واسترداد الفاعلية التي تكاد تنطفئ.

إن السبيل لاسترداد الشخصية المسلمة هو العودة إلى قيم الوحي، في الكتاب والسنة، وتجسيدها وتنزيلها على واقع الناس في السيرة، في ضوء هداياته، ذلك أن التعامل مع السيرة يتطلب العودة المبصرة الفقهية القادرة على تحديد مواطن الاقتداء من خلال الاستطاعات المتوفرة والظروف المحيطة.

إن العودة بحماسة زائدةٍ وإسقاطٍ أعشى لمراحل السيرة على حياة الناس قد ينتهي إلى حماقات، فالاغتراف بلا فقه ولا بصيرة ولا امتلاك للقدرة على تعدية الرؤية وتحديد مواطن الاقتداء في كل مرحلة وكل حالة إنسانية يتحول إلى نوع من العبث والتنفير من قيم الوحي، والمساهمة السلبية في إبعاد الناس عن قيم الوحي، وتكريس سَيْرِهم في طريق الضلال والضياع.

فالسيرة حاضنة الأمة الأولى، حاضنة الإنسان في أولى مراحل إسلامه، حاضنة المجتمع في أولى مراحل تشكله، حاضنة الأمة في الخطوات الأولى لمراحل إخراجها كخير أمة أخرجت للناس: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

السيرة هي تربة الإنبات ومناخ الإنبات ودليل الإنبات ورعاية النبات ودليل الحياة وتزكية سلوك الإنسان والسبيل إلى بناء إنسان النبوة:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:٢)، ونحن اليوم قد لا نحتاج لأدلة كثيرة على أن هذا الضلال والضياع إنما هو بسبب التنكب لطريق النبوة (السيرة)، حيث الإصابات تغمرنا من كل جانب وتأتينا من كل وجهة، سواء في ذلك من تنكروا لمعرفة الوحي وتحولوا عن الاغتراف من السيرة، منجم الحياة، أو الذين تعسفوا في التعامل معها بلا عقل ولا فقه فكانوا أدلة عملية على تنفير الناس وتهريبهم من قيم الوحي، سواء بفهمهم الأعوج أو ممارستهم تنزيل الأحكام الشرعية والقيم الإسلامية بلا فقه ولا دراية، أو سلوكهم الرديء، أو بتفكيرهم الأخرق وتدينهم المغشوش وذلك بإسقاط الأحكام على رؤوس الناس دون أي فهم أو فقه لمحل تنزيل الأحكام وهو واقع الناس والحال التي هم عليها.

وقد لا نكون بحاجة إلى معاودة التأكيد أن السيرة محل التأسي والاقتداء: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب:٢١)، وأنها الوعاء التطبيقي لقيم الوحي في واقع الناس، بحسب حالتهم وحاجتهم واستطاعتهم، وأنها في مسيرتها الطويلة عَرَضت لكل الحالات الإنسانية التي تعترض مسيرة الحياة ولكل مراحل حياة الإنسان، من مرحلة الأجنة فالطفولة فالتمييز فالمراهقة فالرشد فالكهولة فالشيخوخة فالهرم فالموت، وقدمت الإجابة الكاملة لكل الأسئلة الكبرى التي تحتل الإنسان ولا تنفك عنه، حيث الإجابة من مصدر معصوم عن الخطأ (معرفة الوحي)،

كما أنها عرضت لبناء المجتمع وسبيل إخراج الأمة، بكل مكوناته واستطاعاته والظروف التي تعترضه وكيفية التعامل معها، من بدء الـــوحي: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١)، إلى نهاية الـــوحي وبلـــوغ مرحلـــة الكمـــال والاكتمال: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ (المائدة:٣)، بكل ما اعترى ذلك من السقوط وكيفية التعامل معه والوصول إلى المعافاة ومعاودة النهوض والتمكين.

وحيث إن أقدار التدين لا تبقى على حال واحدة فإن في السيرة معالم هداية مرنة، فإذا كان التمكين فكيف نتعامل، وإذا عرض السقوط فكيـــف تنتشل الأمـــة وتنهـــض؟ وهكـــذا ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١٤٠)، ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ ﴾ (الإسراء:٨).

والرسول ﷺ، محل التنـــزيل والبيان وأنموذج الاقتداء، تجسدت قـــيم معرفة الوحي في سلوكه، حيث حول الفكر إلى فعل وممارسة وسلوك؛ كان المثل الكامل لكيفية التعامل مع كل حالة، حتى ليكاد المتأمل في سيرته، عليه الصلاة والسلام، يتملكه العجب العجاب من هذا الكمال في تقـــديم المثـــل والمثالية، وكأنه بُعث ليكون أنموذجاً للزوج وبناء الأسرة السعيدة فقط، فإذا ذهبنا إلى موقع آخر من مواقع الحياة وجدنا أيضاً الأنموذج والمثـــل، ففـــي المعركة مثلاً والتعامل مع النصر والهزيمة المحتملة نجده وكأنه بُعـــث لرســـم الطريق العملي للتعامل مع ذلك؛ وكذلك في علاقـــات الـــرحم والجـــوار والتعامل مع الأعداء والخصوم؛ فهو أنموذج الاقتداء للزوج والقائد والصديق

والجار والمعلم والمربي و.... وهكذا نجد السيرة دليل عمل وتفاعل في جميع جوانب الحياة.

وإذا كانت النبوة، في رسالتها التاريخية، رافقت خطوات الإنسان الأول، وقدمت له دليل الحياة، وتعاملت معه في كل أطواره وأعماره وحالاته -كما أسلفنا- والتي يمكن أن تشكل رؤية مأمونة ودليل عمل معصوم مستمد ممن خلق الإنسان، العالِم بمكوناته، بماضيه وحاضره ومستقبله وما يعرض له من تداعيات، فإن سيرة الأنبياء تشكل دليلاً خالداً لكل الحالات المشابهة، التي تعرض للإنسان والحياة، على مدار التاريخ الإنساني، وأن سيرة النبوة الخاتمة ومسيرتها، حيث انتهت إليها أصول الرسالات السماوية جميعاً ومسيرة الأنبياء، تشكل قاموساً أميناً مهيمناً لتعاليم النبوة وتعاطيها التاريخي مع الحياة والأحياء، وأن المؤمن بها هو وريث النبوة منذ النشأة الأولى وحتى ينشئ الله النشأة الآخرة؛ قدمت نماذج للاقتداء لبناء الكمال الإنساني، فهي الدليل اليقيني للتعامل مع الإنسان، بكل حالاته وأطواره، فالرسالة الخاتمة جمعت بين معرفة الوحي والتجربة التاريخية.

وإذا تقرر لدينا أن الإنسان لغز مغلق (صندوق أسود) كان لا بد من شفرة لفك رموزه وأسراره، ذلك أن عالم الإنسان على الرغم من التقدم الهائل في العلوم الإنسانية والاجتماعية والنفسية ما يزال - كما أسلفنا- مجهولاً، وأن ما حققه العلم من أدلة وحقائق علمية لم تتجاوز شواطئ الإنسان، ذلك البحر العميق المجهول، وأننا بمقدار ما نكشف من حقائق

ومعلومات بمقدار ما نكتشف من مجاهيل وأسرار لا تزال مستعصية عن العلم وأدواته.. وعلى الرغم من جميع مناهج الاستقراء والاستنتاج والتحليل النفسي ووسائل التقويم والقياس، مع ذلك ما نزال نفاجأ يومياً باكتشاف أغوار عميقة في ذات ذلك المخلوق العجيب.

وإذا علمنا أن الإنسان لَمَّا يكتشف بعد نفسه، التي بين جنبيه، وأن كثيراً منا يحاول الاستبطان ويتخذ من نفسه نافذة يطل من خلالها ليكتشف من حوله، وأنه هو نفسه يتطور بين حين وآخر ليصبح إنساناً آخر، أدركنا أن هذا المخلوق هو سر الأسرار، وأن شخصيته المغلقة بحاجة إلى مفتاح وشفرة دقيقة للقراءة والمعرفة ووضع الدليل المأمون لمسيرته، وتبين لنا أهمية الوحي كدليل إلى معرفة الإنسان والحياة.

وإذا كان الإنسان الكبير الراشد القادر على الحركة والنطق والتعبير عما يكنه في نفسه وما يمكن أن يشكل له ردود أفعال لما يقع عليه، تُرْصد وتُفَسر من خلالها شخصيته، ما يزال لغزاً مغلقاً يحمل الكثير من المفاجآت، التي يصعب التنبوء بها، ويمتلك الكثير المخزون من الطاقات التي لم تظهر بعد، أدركنا أن عالم الطفولة هو لغز الألغاز، وأدركنا صعوبة التعامل معه بشكل سليم، حيث تصبح الحاجة إلى رؤية النبوة وتعامل النبوة مع عالم الطفل آكد وأشد حاجة.

ونستطيع القول إلى حد بعيد: إن الطفولة ابتداءً من النطفة ومروراً بمرحلة الأجنة فالولادة، بمراحلها المتنوعة وأطوار نموها (سيكولوجية النمو)

المتعددة تستحوذ اليوم على اهتمام العالم؛ لأنها تشكل مستقبل الإنسانية؛ فخطاب الطفل وتنوعه، أو بشكل أصح أدوات التواصل مع الطفل، تتطور وتتنوع بشكل متسارع حتى تكاد تستوعب الجهد الإنساني؛ فأدب الأطفال بكل أجناس الأدب من قصة إلى رواية إلى حكاية إلى مسرح إلى مرسم إلى أفلام كرتونية، متنوعة الإثارة والهدف، ورصد نتائج هذا الجهد، والتعديل الحاصل والمستمر الذي يكاد يكون يومياً على كيفية التعاطي مع الطفولة والسباق العالمي في احتيازها أصبح شيئاً مذهلاً.

فتشعب التخصصات والدراسات في الطفولة ومراحل نموها ومشكلاتها وكيفية التعامل معها تتحرك بشكل مذهل وتدفع يومياً بكمٍ يصعب رصده ومتابعته فضلاً عن استيعابه والإفادة منه، بل لعلنا نقول: إنه على الرغم من هذه الدراسات المتقدمة، التي تجاوزت عالم الطفولة إلى عالم الأجنة قبل الولادة وبذل الجهود الكبيرة لاكتشاف خصائصها، والتفكير بكيفية التحكم بها قبل الولادة واكتشاف عالم الجنين ومراحل تطوره...، حتى لقد تجاوز ذلك ما يطرأ على جسده من نمو واحتمالات إعاقة وإصابة يمكن أن تكتشفها المجاهر، وعلاقة ذلك بالتغييرات العضوية الفسيولوجية التي تقع على الأم الحامل، إلى محاولات الكشف عن عالم الجنين النفسي والفكري والخيالي، واستكناه ما يمكن أن يحلم به، ومؤثرات الحزن والفرح على كينونته النفسية والعضوية، وكل يوم يأتي بجديد، وكل يوم يعدل القديم... ومع ذلك نقول: على الرغم من كل هذا الكسب العلمي الكبير، وهذه

التخصصات لمجالات الطفولة، عالم الغد، وآفاقها، مع ذلك ما تزال البشرية تقف على شاطئ هذا البحر الزاخر بالأسرار والرموز والشفرات المستعصية على الحل، وما حققه العالم حتى اليوم من حقائق أو أوهام لا يعتبر شيئاً، ورحلة البحث ستستمر إلى أن تقوم الساعة، تحمل كل يوم جديداً، وتعدل قديماً، وتصوب خطأً، وتؤكد حقيقة.

ولا بد أن نعترف في هذا المجال أننا متخلفون أشد التخلف، وفي أحسن الأحوال مقلدون، نُشكل رجع الصدى لتلك الجهود والاكتشافات المختلفة، وندفع بأطفالنا لأحضان (الآخر) دون وعي واستيعاب، وفي كثير من الأحيان لنعفي أنفسنا من تحمل المسؤولية تجاههم، دون أن ندري بما نقدم عليه؛ بل لعل أطفالنا كما الحال في شعوبنا وأوطاننا، ما تزال تشكل مزارع التجارب للآخرين في المجالات كلها وليس على مستوى التعامل مع الأطفال فقط، ذلك العالم المملوء بالأسرار والرموز، الذي لا بد له من أدوات لاكتشاف قابلياته وميوله وتنمية مهاراته وتخصيب خياله العلمي.

من هنا نقول: إن ما نمتلكه من قيم الوحي وخاصة في المجال التطبيقي للسيرة النبوية، التي تشكل الميدان التطبيقي والتنزيلي لقيم الوحي على واقع الناس، وعلى الأخص في مجال رعاية الطفولة وكيفية التعاطي معها في الأحوال كلها، ومن خلال الوسائل التربوية والتنموية المتنوعة، هي كفيلة باختصار التجربة وتقديم الأدلة اليقينية المعصومة للتعامل المضمون النتائج إذا نحن أحسنا الإفادة منها وامتلكنا القدرة على تعدية الرؤية للواقع القائم،

ذلك أن معرفة الوحي تختصر لنا الطريق إلى الطفولة، وتحمينا من الخطأ، وتغطي لنا الكثير من الحقائق في هذا العالم الخطير، عالم الطفل، التي بدأ يصل إليها العلم بعد هذه الجهود الطويلة والشاقة.

لكن الإشكالية اليوم تتمثل في الانسلاخ عن عطاء السيرة، ظناً منا أن الاستمساك بها كان سبب التخلف والعجز، لذلك فالطريق إلى بناء الطفولة السوية المتوازنة إنما يتحقق بتقليد الآخرين واللهاث وراءهم (!) دون أن ندري حقاً أن إشكاليتنا إنما هي بالانسلاخ عن قيمنا وليس بالاستمساك بها، كما أسلفنا.

ونحن هنا لا ندعو للانغلاق وعدم الإفادة من تجارب الآخرين وعطائهم العلمي، لكن نقول: إن الإنسان المتخلف، الذي لا يمتلك رؤية ومرجعية، أو هو عاجز عن استيعاب مرجعيته وقيمه، هو أكثر عجزاً عن الإفادة من العطاء العالمي.

فالإفادة من العطاء العالمي منوط بالإنسان البصير، الذي يمتلك المرجعية ومعيار الأخذ والرد.

ولعلنا نقول: إن عدم الاستيعاب لكيفية التعاطي مع السيرة في عالم الطفولة وفي غيره من المجالات، والتعسف في تطبيق السيرة على واقع الناس، أوقع بالكثير من المضاعفات وردود الأفعال السلبية عند الأطفال، التي قد تحملهم على كراهية الإسلام، من خلال ممارسة بعض الآباء والأمهات الجهلة الإساءة للطفل باسم الدين، الذين لم يكلفوا أنفسهم أن يفهموا عالم

الطفولة ومتطلباته، ولا مقاصد السيرة وفقه تنـــزيلها على الواقع، فتـــراهم يستعجلون الشيء قبل أوانه فيُعَاقَبوا بحرمانه.

فقد يحملهم الحرص على أبنائهم إلى إغفال الكثير مـــن الـــسنن وفي مقدمتها سنة التطور والنمو، فتارة نركّب على الأطفـــال عقـــول الكبـــار ونحاســـبهم على تصرفاتهم دون إدراك لمراحل نمـــوهم واســـــتحقاقاتها؛ وأحياناً نغفل ســـنة الأجل ونحاول أن نقفز بهم دون اعتبار للزمن، ونحملهم ما لا يحملون، فنقع بعكس ما أردناه.

وأحياناً، لجهلنا، نستنكر بعض التصرفات ونعتبرها شـــاذة وهـــي في الحقيقة من الأمور الطبيعية لهذه الأعمار، ونحكم على أصـــحابها بالـــشذوذ والسلبية، ونلجأ إلى العقوبة والتأنيب وتقليل قيمة الطفل وازدرائه، مع العلم أن الشذوذ والنمو غير السوي إنما يكون لو غابت مثل هذه التصرفات.

وأحياناً تضيق عقولنا فنحكم على الطفل ونختزل حياته ورؤية مستقبله من خلال تصرف واحد قد يكون نزوة عابرة لا يلبث أن يكتشف خطـــأه بنفسه ويعود عنه، إن أحسنا التعامل معه.

وفي كثير من الأحيان، وهذا هو التعسف الأسوأ في التعامل مع قـــيم الدين والتأسي بالسيرة النبوية، وذلك عندما يتخلف الطفل عن أداء الصلاة بعد بلوغه سن العاشرة فنقدم على ضربه بقسوة، حتى يخرج الضرب عـــن وســـيلته التربوية للتأديب إلى الوســـيلة القهرية الانتقامية الخطيرة، ونعلـــل

ذلك بأمرٍ من الرسول ﷺ، ذلك الأمر الذي يوضع في غير محله، فلا يحمل إلاّ الكره من الطفل للرسول ﷺ وأوامره، والعياذ بالله.

فالرسول ﷺ يقول: «مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ...» (أخرجه أبو داود).

فهناك نحو من أربع سنوات بين السبع والعشر لاستنفاد كل الوسائل التربوية في الترغيب والترهيب، وآخر الدواء الكي، كما يقولون، لكن نحن نبدأ بالضرب والتهديد وإبلاغ الطفل أن هذا هو الدين، الأمر الذي ينفره ويغلقه عنا ويشكل له شخصية مزدوجة يصعب علينا معها معرفته وإدراك أبعاد شخصيته لنتمكن من حسن التعامل معه.

لذلك فلنوفر للطفل أجواء الحرية، ونمنحه الشخصية الاستقلالية، ونشعره بالثقة، ونراقب عن بعدٍ لتصرفاته.. فالحرية ثم الحرية هي التي ينطلق من خلالها الطفل على سجيته وبراءته، ونحن من خلال هذه الحرية الممنوحة نقرأ الشخصية بدقة، ومن ثم نعرف كيف نتعامل معها بشكل سليم؛ أما تحويله إلى صندوق أسود، والتوهم أن السكوت والطاعة الظاهرة هي حقيقة مسلمة نفرح بها فلا يلبث الموضوع وبعد أن يصلب عود الطفل قليلاً أن يفاجئنا بانفجارات كبرى وتمرد وشذوذ يصعب معه المداخلة والمعالجة؛ والخطورة كل الخطورة أن يتم هذا التعسف تحت شعار القيم الدينية، فنكون بذلك نسيء حيث نظن أننا نحسن صنعاً، ولا يخفى أن

بعضاً من أبناء المتدينين - بسبب تعسف الآباء والأمهات والمعلمين في التعامل معهم باسم الدين وقيمه- أصبحوا يعتبرون الدين عبئاً ثقيلاً يتحينون الفرص للانعتاق منه.

ويمكن القول: إن السيرة في تعاطيها مع الأطفال استعملت بالمطلق جميع الوسائل التربوية المتنوعة، التي يمكن من خلالها اكتشاف عالم الطفولة وتنميته وتشكيل شخصيته الاستقلالية وتعويده على تحمل المسؤولية فالرسول القدوة ﷺ تعامل مع عالم الطفل وبنائه وتنميته وتزكيته وتعليمه بالوسائل التربوية المتنوعة، التي تستوعب خصائص الطفل، بكل تنوعاتها ومجالاتها، من بناء عقيدة الطفل، إلى تربية سلوكه وخلقه، إلى تنمية حسه الاجتماعي والنفسي والعاطفي، والتنويع في وسائل التربية، فالقدوة تارة، وبالموعظة أخرى، وبالقصة والعبرة وبالترويح والتدريب على المعاني والمسالك المتعددة، وفقاً لقيم السماء.

وأقول هنا: لقد تمحورت جهودنا واجتهاداتنا وفقهنا حول استنباط الحكم التشريعي وكأنه مقصد الكتاب والسنة فقط(!) وعلى أهمية ذلك وأولويته إلا أنه لا يشكل لنا عذراً لتخلفنا في استنباط الفقه التربوي والاجتماعي والنفسي... الذي يبني الإنسان طفلاً ومراهقاً وراشداً، فالإنسان هو محل الحكم التشريعي.. فإذا كان بعض فقهائنا نظر في المأثور عن الرسول ﷺ أنه زار طفلاً فقد طائره الصغير فحزن عليه، وعزاه بقوله: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» (أخرجه البخاري)، فاستنبط منه

اثني عشر حكماً تقريباً، من جواز اقتناء الطفل للطيور، واللعب بها، وسنة تعزية الطفل عما يفقده لإشعاره بشخصيته، وتكنيته بأبي فلان أو أم فلان لإعطائه قيمة الكبار، الأمر الذي ينزع إليه الطفل بشكل طبيعي، وبناء شخصيته الاستقلالية، فما كان أحوجنا أن نمتد بهذا الفقه التربوي، وعلى الأخص في مجال الطفولة، لنشكل رجال ونساء المستقبل بشكل سليم.

لقد نظر فقهاؤنا لهذا الأثر في إطار الحكم التشريعي من سنة تعزية الصغير، وسنة تكنيته، وجواز لعبه، وما إلى ذلك.. وعلى أهمية ذلك لكن ليس الأقل أهمية منه الأبعاد التربوية والامتداد بها ووضع الوسائل والأدوات، التي تمكن من حسن التعامل مع الطفولة.

والكتاب، الذي نقدمه يعتبر محاولة جادة في استدعاء معرفة الوحي في الكتاب والسنة والسيرة العملية، وتجديد ذاكرة المسلم المعاصر تجاه هذه الكنوز العظيمة في تراثنا التربوي، وبيان كيفية تعاملها مع عالم الطفولة، مجتمع الغد، حيث بات التوجه إلى الطفل يستحوذ على اهتمام الكُتّاب والمفكرين والباحثين والأدباء والمثقفين والمخرجين السينمائيين والمنتجين والممثلين، ويأخذ مساحات كبيرة من الأنشطة في المجالات المتعددة، ويدخله من يحسن ومن لا يحسن، لتكون له الغلبة المستقبلية في السباق الحضاري.

فالطفولة أصبحت اليوم عالماً قائماً بذاته له تخصصاته المتنوعة، التي تتضافر جميعاً لتشكل كيفية التعامل مع هذا العالم وتنميته ومحاولة اكتشافه للارتقاء بقابلياته وإمكاناته ومهاراته؛ ففي علم النفس والتحليل النفسي من

الشُّعب المعرفية التي تستهدف الأطفال ما يعتبر من العجب العجاب؛ وليس الأمر أقل من ذلك في علم التربية وعلم الاجتماع وعلم الإنسان فلكل مرحلة عمرية خصائصها ومشكلاتها ووسائل التعامل معها، حتى تجاوز الأمر بالعلماء إلى اقتحام عالم الأجنة، ومحاولة استكناه تطور الجنين في مراحله المختلفة.

فالعلوم المستهدفة للطفل كانت ولا تزال علوماً متطورة متغيرة، ذلك أن عالم الطفولة عالم لغز مملوء بالأسرار، وهو أشبه بالصندوق الأسود، الذي يحتوي على الكثير من الكنوز، فهو عالم الرموز والأسرار المخبوءة، التي خُلقت لعصرها، وعلى الأخص أن الطفل بطبيعته لا يستطيع أن يعبر عن شخصيته، لذلك فعالم هذا اللغز ما يزال عصياً عن الإحاطة بعلمه، على الرغم مما حققه العلم في ميادينه المختلفة.

ولعلنا نقول: إن ما وصل إليه العلم من معارف مقدورة في إطار عالم الطفولة عرّفت أصحابها بالغور البعيد، وأن ما تحقق لم يتجاوز الضفاف بعد هذه الرحلة الطويلة، ولا أدل على ذلك من أن ما أنتج من هذه الدراسات يحمل الكثير من التناقض، ويبنى على الكثير من الظنون وأحياناً الأوهام، ولعل ذلك عائد إلى طبيعة تكوين الإنسان بشكل عام.

فإذا كان الإنسان لم يكتشف ذاته بعد، ويتقلب هو نفسه في أطوار متعددة قد لا يتوقعها، وأن الكثير من سلوكه وتصرفاته، الذي يشكل نوافذ شخصيته، ليس بالضرورة صادقاً ودقيقاً وغير ملتبس، وإذا كان هذا حال

الإنسان الراشد، فما بالنا بعالم الطفولة، الذي يتطلب، لقراءته والتعرف إلى أسراره ومخبوءاته، شفرة خاصة تشكل دليلاً للتعامل معه؟

وبإمكاننا القول بكل يقين: إن هذه الشفرة لا تتأتى إلا عن طريق معرفة الوحي الصحيحة، عن طريق خالق الإنسان العالم بما خلق، يقول تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

ومن هنا نقول: إن هذا الكتاب يشكل لبنة أساساً في الوصول إلى دليل عمل وتعامل مع عالم الطفولة، مساهمة في بناء وتشكيل مجتمع المستقبل، في ضوء قيم الكتاب والسنة.

ولله الأمر من قبل ومن بعد

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي لـــه، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

قال تعالى في محكم كتابه: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ (الحج: ٥).

تعد مرحلة الطفولة المرحلة الأهم والأساس لكامل حيـــاة الإنـــسان، وبقدر ما يحظى الطفـــل بالرعاية والعناية والتربية الحسنة بقدر ما تكـــون حياته سعـــيدة مثمـــرة، والله سبحانه وتعالى كرَّم الإنسان وفـــضله علـــى سائر مخلوقاته في قوله ســـبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠).

لقد شمل هذا التكريم الإلهي الإنسان في جميع مراحله، ولمـــا كانـــت الطفولة هي أولى مراحل الإنسان في الحياة اعتنى بها الإسلام عناية خاصـــة، وأشار إليها القرآن والسنة النبوية إشارات متعددة، مما يؤكد اهتمام الإسلام بالإنسان طفلاً، واحترامه لهذه المرحلة، وحثه على رعاية الطفل؛ لأنه يمثـــل نواة المجتمع، فإذا صلح ونشأ نشأة صالحة وأُعد لهذه الحياة إعـــدادًا ســـليماً وروعي وحوفظ عليه فإنه سيكون من قادة المجتمع وعظمائه.

ومن هنا يأتي هذا البحث محاولة يتم فيها تسليط الضوء على منهاج الرسول ﷺ في تربية الأطفال وكيف كان قدوة في ذلك، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

- **المقدمة** وتتضمن:

- **سبب اختيار الموضوع وأهميته.**

- **التمهيد** ويتضمن:

– **مصطلحات الدراسة:**

١ – الطفولة لغة واصطلاحاً.

٢ – التربية لغة واصطلاحاً.

الفصل الأول: الطفولة: خصائصها وحقوقها وحاجاتها:

المبحث الأول: خصائص الطفولة.

المبحث الثاني: حقوق الطفل في الإسلام.

المبحث الثالث: الحاجات النفسية للطفل.

الفصل الثاني: تربية الطفل في الإسلام.. خصائصها، أهدافها، وسائلها:

المبحث الأول: خصائص التربية في الإسلام.

المبحث الثاني: أهداف تربية الطفل في الإسلام.

١ – الهدف العام: عبادة الله.

٢ – أهداف فرعية.

أ – تربية الأبناء عقدياً.

ب – تربية الأبناء خلقياً.

ج – تربية الأبناء اجتماعياً.

د – تربية الأبناء نفسياً وعاطفياً.

هـ – تربية الأبناء جسمياً.

المبحث الثالث: وسائل التربية الإسلامية.

١ – التربية بالقدوة.

٢ – التربية بالموعظة.

٣ – التربية بالعقوبة.

٤ – التربية بالقصة.

٥ – التربية بالترويح.

٦ – التربية بالعادة:

أ – تعويدهم سنة السلام.

ب – تعويدهم عيادة الطفل إذا مرض.

ج – اصطحاب الطفل إلى مجالس الكبار.

د – تعويدهم البيع والشراء.

هـ – تعويدهم آداب الطعام والشراب.

و- تعويدهم الاستئذان.

ز- تعويدهم الصدق.

ح- تعويدهم حفظ الأسرار.

ط- تعويدهم الأمانة.

ي- تعويدهم على سلامة الصدر وترك الأحقاد.

ك- تعويدهم مراعاة حقوق الآخرين (حق الأبوين، حق الأرحام، حق الجار، حق المعلم).

ل- تعويدهم غض البصر وحفظ العورة.

م- تعويدهم النظافة.

ن- تعويدهم قراءة الأذكار صباحاً ومساءً.

س- تعويدهم تحمل المسؤولية.

ع- تعويدهم على الصلاة في المسجد وربطهم به.

- الفصل الثالث: صفات المربي وثمرات التربية:

المبحث الأول: صفات المربي الناجح.

المبحث الثاني: تقوية الصلة بين المربي والولد وتمتين العلاقات بين الآباء والأمهات.

المبحث الثالث: ثمرات التربية الناجحة.

المبحث الرابع: مواقف تربوية من طفولة السلف الصالح.

- خاتمة.

- سبب اختيار الموضوع:

هناك العديد من الأسباب التي دعت إلى اختيار هذا الموضوع، منها ما هو عام على مستوى المجتمع، ومنها ما هو خاص بالأسرة الواحدة، وأخيراً ما يكون أخص بالطفل ذاته، ومن هذه الأسباب، التي دعتني إلى اختيار موضوع تعامل الرسول ﷺ مع الأطفال تربوياً الجوانب الآتية:

١- نعمة الذرية وأنها زينة الحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف:٤٦). ومحبة الأولاد غريزة في النفوس، فقد قيل لرجل: أي ولدك أحب؟ قال: صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يبرأ، وغائبهم حتى يحضر؛ فهي محبة جُبل الناس عليها.

٢- كان الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، حريصين على الذرية الصالحة التي ترث العلم النافع والعمل الصالح وتواصل مسيرة الدعوة فيستمر العمل الصالح بهذه الذرية، كما قال رسول الله ﷺ فيما رواه أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[1].

ولما كانت العناية بالأولاد بتلك المنزلة كان حقاً على الدعاة والمربين والآباء عموما أن يولوا هذا الموضوع اهتمامهم ووقتهم. فقد قال ابن القيم،

---

(١) أخرجه الإمام للحسين مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ط٢ (الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ) ص٧١٧، كتاب التوحيد، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم ١٦٣١.

رحمه الله: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت إنك عققتني صغيراً فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً»[1].

٣- العناية بالأولاد فيه استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى في القيام بمسؤولية رعاية الأولاد والسعي في تربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة وتعويدهم على الاستقامة، التي هي من أهم الأمور الواجب الاهتمام بها منذ مرحلة الطفولة؛ لأنها من أهم المراحل العمرية في غرس قيم الخير والفضيلة، وهذا واضح في سنة النبي ﷺ من خلال توجيه الأمة للعناية بتنشئة الصغار على العبادة والاستقامة ليكونوا ممن نشأ في طاعة الله[2].

٤- أن الأولاد بحاجة ماسة إلى التوجيه والرعاية من خلال القدوة في التوجيه وتأكيد أهمية البدء بالقرآن الكريم والامتثال به سلوكاً وعملاً وتدبراً.

كما أنهم بحاجة ماسة إلى مراعاة أحوال نفوسهم، والعناية بتغذية عقولهم وزيادة تنميتها، وغرس الخصال الفاضلة في نفوسهم.

٥- أهمية مرحلة الطفولة في حياة الإنسان، حيث حظي مجال رعاية الأطفال باهتمام أمم الأرض، اجتماعياً، ورسمياً، ووضعت الدول الأنظمة

---

(١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود في أحكام المولود، تحقيق كمال علي الجمل، ط١ (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٦هـ) ص٢٥٢.

(٢) سعد بن عبد الرحمن الجريد، عناية الداعية بأولاده في ضوء نصوص الكتاب والسنة وسير الصالحين (بدون ناشر، بدون تاريخ) ص١٨٥.

والإجراءات التي تكفل الرعاية اللازمة للأطفال، كما تعاونت دول العالم إقليمياً ودولياً لتحقيق مصالح الطفل، ولعل من أبرز صور التعاون الدولي صدور الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل عام ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٩م.

٦- عالم الطفل فيه كثير من المجاهيل النفسية والاجتماعية والتربوية، وهو بحاجة إلى شخص متكامل وعالم بخفايا الأمور وهو شخص رسول الله ﷺ لكي يكشف هذا العالم الطفولي المجهول لنا[1]، لكي يسهل التعامل معهم في ضوء الاقتداء به، عليه أفضل الصلاة والسلام.

٧- مسؤولية التربية، فالرسول ﷺ يحمِّل الوالدين مسؤولية تربية الأبناء مسؤولية كاملة، فعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[2].

وقد أكد ابن القيم، رحمه الله، هذه المسؤولية وتكلم كلاماً مفيداً نافعاً، فقال: قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة.

---

(١) محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، ط١ (الكويت: مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ) ص١٤.

(٢) أخرجه البخاري.

٨- تزايد عدد الأطفال على مستوى العالم الإسلامي عموماً، فهم يمثلون نسبة كبيرة من الهرم السكاني في جميع دول العالم الإسلامي، ومن هنا كانت العناية بالعدد الأكبر من أعداد الأمة أولى، وذلك من خلال طرح العديد من الدراسات والأبحاث.

٩- أهمية مستقبل هذا الطفل للأمة الإسلامية إذا ما أحسنت تربيته وتنشئته التنشئة الصالحة المستمدة من الكتاب والسنة، باعتبار أن الأطفال هم الأكبر عدداً من أبناء الأمة الإسلامية، وهم رجال الغد وقادة المستقبل.

١٠- سهولة تشكيل هذا الطفل، فإن شُكّل وقوّم تقويماً سليماً شبَّ على الطريقة الصحيحة، وإن أهمل مال وانحرف؛ لأن تأثيرات الطفولة تمتد بامتداد حياة الطفل.

١١- ما تتناقله الأخبار بين حين وآخر عن انتشار ظاهرة العنف ضد الأطفال، ولا شك أن ذلك عائد إلى عدم المعرفة بأساليب التعامل الصحيح مع الأطفال، الذي يكون مستمداً من هدى المصطفى، عليه الصلاة والسلام.

١٢- إن مرحلة الطفولة المبكرة تمتاز بخطورتها على نمو الأطفال في حاضرهم ومستقبلهم، وهذا يتطلب المزيد من الاهتمام بتوعية الآباء وتثقيفهم تربوياً؛ فالطفولة هي الأساس بالنسبة لحياة الفرد، ففيها يتم بناء شخصية الطفل من الناحية الجسمية والوظيفية، وهي التي تضع حجر الأساس لسلوكه المرتقب الذي يساعده على التكامل السوي بمراحل نموه اللاحقة[١].

---

(١) زيدان حواشين ومفيد حواشين، اتجاهات حديثة في تربية الطفل، ط٣ (عمان: دار الفكر، ١٤١٨هـ) ص٧١.

- التمهيد وخطة البحث:

- مصطلحات الدراسة (البحث):

١ - الطفولة:

الطِّفْلُ والطَفَلَةُ: الصغيران. والطِّفْلُ: الصغير من كل شيء بيِّن الطفل والطفالة والطُّفولة والطفولية، ولا فعل له.

وقال أبو الهيثم: الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ (الحج:٥).

قال الزجاج: ﴿طِفْلًا﴾ هنا في موضع أطفال، يدل على ذلك ذكر الجماعة وكأنه معناه ثم يخرج كل واحد منكم طفلاً، وقال تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ (النور:٣١)، والعرب تقول: جارية طفلة وطفل وجاريتان طفل وجوار طفل وغلام طفل، وغلمان طفل، ويقال: طفل وطفلة وطفلان وأطفال وطفلتان وطفلات في القياس، والطفل المولود، ويكون الطفل واحداً أو جمعاً.

وجارية طفلة إذا كانت صغيرة، وجارية طفلة إذا كانت رقيقة البشرة ناعمة، وليلة مُطْفِلٌ: تقتل الأطفال ببردها، والطفل: الحاجة. وأطفال الحوائج: صغارها.

والطِّفْل: الشمس عند غروبها، والطِّفْل: الليل(١).

(١) ابن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب (بيروت: دار صادر) ١١/٤٠١.

- الطفولة اصطلاحاً:

يشير مفهوم الطفولة إلى المرحلة المبكرة من حياة الإنسان، التي يكون خلالها في اعتماد شبه تام على المحيطين به، سواء كانوا أبوين أو أعضاء الأسرة أو المدرسين، وهي تبدأ من الولادة وتنتهي بالبلوغ، فالبداية بالطفولة لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ (الحج: ٥)، وتنتهي مرحلة الطفولة بالبلوغ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (النور:٥٩).

- التربية لغة:

يقال ربى وربأ: الراء والباء والحرف المعتل وكذلك المهموز منه يدل على أصل واحد وهو الزيادة والنماء والعلو. تقول من ذلك: ربا الشيء يربو، إذا زاد وربا الرابية يربوها إذا علاها.

والرَّبوة والرُّبوة المكان المرتفع، ويقال أربت الحنطة: زكت وهي تربي، ويقال ربَّيته وتربيته إذا غذوته، وهذا مما يكون على معنيين: أحدهما من الذي ذكرناه لأنه إذا رُبِّي نما وزاد، والمعنى الآخر من ربيته من التربيب[1].

ويقال (ربَّ) الولد ربّاً: وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه، فالفاعل رابٌّ والمفعول مربوب وربيب، والقوم: رأسهم وساسهم في حديث

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ) ص٤١٩.

ابن عباس مع ابن الزبير: «لأن يُربِّني بنو عمي أحبُّ إليَّ من أن يُربني غيرهم»، والشيء: ملكه وجمعه والنعمة ربّاً ورباباً وربابة حفظها ونمّاها[1].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ (الشعراء:١٨).

ومن هنا يتبين أن كلمة تربية في الاشتقاقات العربية تحمل المعاني الآتية:

١- النمو والزيادة، كما في فعل ربا يربو.

٢- التنمية والتغذية، كما في فعل ربى - يربي على وزن رمى، يرمي.

٣- الإصلاح والتوجيه، في فعل ربَّى يُرَبِّي على وزن غطىَّ يغطي[2].

التربية اصطلاحاً:

تعددت تعريفات التربية وتنوعت بتعدد الباحثين فيها، وهذه جملة من تعريفات التربية ومن قال بها:

١- جميع ما نقوم به من أجل أنفسنا وما يقوم به الآخرون من أجلنا بُغية الاقتراب من كمال طبيعتنا (جون ميل).

٢- التربية هي الحياة نفسها وليست إعداداً لحياة المستقبل، وأن التربية تستمر ما دام الإنسان حياً ولا تتوقف؛ لأن المجتمع دائم التغيير والتطوير (جون ديوي).

٣- التربية عملية تمتد من المهد إلى اللحد (روسو).

---

(١) إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط (استانبول: دار الدعوة، د.ت.) ٣٢١/١.

(٢) محمد عبد السلام العجمي وآخرون، تربية الطفل في الإسلام: النظرية والتطبيق (الرياض: مكتبة الراشد، ١٤٢٧هـ) ص٧.

وتتسم جميع هذه التعريفات بكونها تقصر التربية على الجنس البشري، وتعتبرها فعلاً يمارسه كائن في كائن آخر، ويمارسه بوجه خاص راشد في صغير، كما أنها تقرر أن الفعل موجه نحو هدف ينبغي بلوغه؛ وبالرغم من ذلك الاهتمام بعملية التربية فإن المنظور الإسلامي للتربية يعد أكثر شمولية وتكاملية، حيث يعتبرها «إعداد الفرد ليحيا حياة كاملة في كل جوانب حياته، وهي تربية تبدأ قبل الميلاد أي منذ اختيار الزوجة ورعايتها في حملها، وتستمر مع الإنسان بعد مولده وعبر مراحل حياته في تربية شاملة متكاملة متوازنة»[(١)].

فالتربية: عملية بناء الطفل شيئاً فشيئاً إلى حد التمام والكمال، وعبر عنها بكلمة (بناء)؛ لأنها تعني بذل الجهد، ووضع الشيء في مكانه، ومتابعة النظر إليه بالرعاية والإصلاح بعيداً عن الإهمال؛ وعبر بكلمة (شيئاً فشيئاً): على سبيل التدرج وأن ما أمكن تحقيقه اليوم يمكن أن يحقق غداً، و(إلى حد التمام والكمال): هو الحد الذي يصل فيه الطفل إلى أن يتمسك بشرع الله من ذاته ويحاسب نفسه بنفسه ويراقبها ويتابع تربية نفسه[(٢)].

من خلال ما سبق نجد أن التربية تتكون من عناصر، هي:

١- المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.

٢- تنمية مواهبه واستعداداته كلها.

٣- توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحو صلاحها وكمالها اللائق بها.

٤- التدرج في هذه العملية[(٣)].

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، المرجع السابق، ص٨.

(٢) منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص١٨.

(٣) عبد الرحمن الباني، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام، ط١ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ).

الفصل الأول

الطفولة: خصائصها.. وحقوقها.. وحاجاتها

المبحث الأول: خصائص الطفولة

إن معرفة خصائص النمو تقدم فائدة كبيرة، ليس في مجال علم نفس النمو فقط، بل يستفيد منها العاملون في قطاعات أخرى كالمربين والمعلمين والآباء والمعالجين النفسيين والمتعاملين مع الفئات العمرية المختلفة وغيرهم.

فمعرفة خصائص النمو تجعلنا نتعامل مع كل مرحلة بما يناسبها؛ لأننا عندما نعرف الخصائص المميزة لكل مرحلة فإن تعاملنا معها سيكون أفضل، فمعرفتنا بحدود تفكير الأطفال تمكننا من حسن التعامل معهم وتربيتهم التربية السليمة، فعندما نحاول تعليم الطفل أشياءً قبل أن يتحقق النضج فيما له علاقة بالتعلم فإن الطفل سيجد صعوبة في التعلم وقد يعجز عن التعلم، وبالتالي يتولد لديه شعور بالنقص، ويرى نفسه غير قادر على التعلم، وسيستمر هذا الشعور حتى بعد حصول النضج، ومتى ما شعر الطفل أنه عاجز عن شيء فإنه لن يستطيع تحقيقه حتى لو كان قادراً عليه فعلياً.

ولكن الحرص على تحقق النضج قبل حدوث التعلم لا ينبغي أن يدفع الآباء والمربين إلى تأخير تعليم الطفل الأشياء المختلفة إلى سن متأخرة جداً، فهذا بدوره يعين تحقيق مطالب النمو وبالتالي ينعكس على نفسية الطفل

ولاسيما ثقته بنفسه وشعوره بالإنجاز، وخلاصة القول: إن تعليم الأطفال الأمور المختلفة ينبغي أن يكون في السن الملائمة، وذلك لا يتأتى إلا بمعرفة خصائص المرحلة العمرية للطفل وهذه الخصائص هي:

- الخصائص الجسمية:

أثبتت الدراسات أن الأطفال خلال السنوات بين الثالثة وحتى نهاية السادسة من العمر يحققون زيادة سنوية في الطول مقدارها ٧ سم تقريباً، وكيلو جرامين في الوزن تقريباً، أما بعد ذلك فإن متوسط الزيادة السنوية في الطول هو ٥ سم تقريباً وكيلو جرامين في الوزن، ومما يلاحظ أن الزيادة في النمو الطولي تقل تدريجياً كلما كبر الطفل.

أما من حيث العلاقة بين الطول والوزن فإن الملاحظ في السنوات الأخيرة (بعد سن السادسة بشكل عام) أنه بينما يتباطأ النمو في الطول تظل الزيادة في الوزن مستمرة بمعدلها السابق تقريباً، وهذا يعني أن الأطفال بعد السادسة يأخذون بالزيادة التدريجية لنسبة الوزن إلى الطول، ويعني أن تبدأ أجسامهم في الامتلاء نسبياً بالمقارنة بالسنوات قبل السادسة ويبلغ ذلك أقصاه في نهاية الطفولة، وكأن ذلك استعداد للمرحلة التي تليها أي حدوث البلوغ والزيادة السريعة في الطول مرة أخرى.

- الغدد:

تنمو الغدد الصماء في جسم الطفل كما هو الحال في بقية أعضاء الجسم، ولكن يلاحظ في أواخر الطفولة أن الغدد التي كان من وظائفها

كف الغـــدد الجنسية أثناء الطفولـــة، وهمـــا الغـــدة الـــصنوبرية والغـــدة الثيموسية، تبدآن في التقليل من هذا الكف والظهور قليلاً، في حين تنـــشط الغدد الجنسية لتهيئ الطفل للبلوغ؛ هذه التغيرات الغددية في الطفولة تكون للذين سيبلغون مبكرين بينما لا تحدث إلا في بداية المراهقة للذين يبلغـــون متأخرين.

ولعل من التأثيرات غير الملاحظة لهذه التغيرات أن الدافع الجنسي يبـــدأ بشكل خفيف، وبالتالي فالإثارة الجنسية يمكن أن تحدث في أواخر مرحلـــة الطفولة لنسبةٍ من الأطفال لو توافرت الظروف التي تشجع على ذلك، ولعل في هدي الرسول ﷺ وتوجيهه ما ينبه لذلك ويرشد للتعامل الحذر مع هـــذا الموضوع حيث قال ﷺ: **«مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِـــنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»**(١).

- الحواس:

ليست هناك تغيرات واضحة في الحواس خلال هذه المرحلة باســـتثناء حاسة البصر، إذ يظل الأطفال حتى سن الثامنة أو التاسعة تقريبـــاً ولـــديهم طول في النظر ويجدون صعوبة في التدقيق في الأشياء القريبـــة وخـــصوصاً الصغيرة منها، ومن هنا وجب أن تكون كتب المراحل الأولى مـــن التعلـــيم الابتدائي مكتوبة بخط كبير.

---

(١) أخرجه أبو داود.

- **الجانب الحركي:**

يحصل خلال مرحلة الطفولة تقدم كبير في النمو الحركي العام والخاص، ومما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال: ظهور الاستعداد لتعلم المهارات الدقيقة، وقد أوضحت بعض الدراسات أن الذكور يتفوقون في الحركات الكبرى العامة كالقفز والجري، بينما يتفوق البنات في الحركات الدقيقة كالكتابة.. وخلاصة الأمر: أن مرحلة الطفولة تعد حركة الطاقة الزائدة والنشاط العام، ففيها لا يفتر الأطفال عن اللعب والحركة، وينبغي أن ننظر إلى حركة الطفل على أنها أمر طبيعي بل صحي من الناحية النفسية والجسمية، وفي الواقع أن الطفل الذي لا يتحرك هو الطفل غير الطبيعي الذي ينبغي استقصاء حالته لكي لا تؤثر على مستقبله.

- **الخصائص العقلية:**

يتميز إدراك الطفل في هذه المرحلة بأنه إدراك حسي وليس مجرداً، لهذا فإنه يتفاعل مع الأشياء تفاعلاً حسياً وتخيلياً، ويميل إلى اللعب الإيهامي وسماع القصص الخيالية ويحاول أن يفهم كل ما يدور حوله، لذلك تكثر أسئلته عن الأشياء والأشخاص فتزداد لديه كلمات: لماذا ؟ وكيف؟ وأين؟ ومتى؟ ومن أين؟ ويرغب في الحصول على الأجوبة، لذلك فإن طبيعة الأجوبة التي يسمعها الطفل من المربية والأسرة عن أسئلته مهمة جداً لإنماء إدراكه، كما يبدأ الطفل في إدراك المفاهيم مثل: الزمان والمكان والعدد والأشكال والتعلم في إطار ضيق ويتذكر العبارات البسيطة ويزداد معه

الرصيد اللغوي إلى ١٢٠٠ كلمة في سن الثالثة وإلى ١٨٠٠ كلمة وهو في الرابعة و٢٠٠٠ كلمة في الخامسة و٢٥٠٠ في السادسة، كما يستخدم الجمل المفيدة ويميز الحروف في نهاية المرحلة.

ويتأثر هذا الإدراك بعوامل خارجية كالبيئة، فالطفل الذي يذهب إلى روضة الأطفال ينمو في إدراكاته العقلية أكثر من الطفل الذي لم يذهب إلى الروضة وبخاصة حينما تكون الروضة فاعلة في التعليم، وأن تفاعل الأم مع الطفل يمثل دوراً إيجابياً في إنماء اللغة عنده وأن غياب الأم عن الأسرة يؤثر سلباً على النمو العقلي للطفل، كما أن المستوى الثقافي والاقتصادي المرتفع يؤثر بصورة إيجابية على تكوّن النمو الإدراكي للطفل.

ولمساعدة الطفل على إنماء قدراته العقلية ينصح بتنوع المثيرات التعليمية في بيئة الطفل واحترام أسئلته والإجابة عنها بكل عناية بما يتلاءم مع إدراكاته[1].

ويرى التربويون أنه ينبغي للتعامل الصحيح مع أسئلة الطفل الكثيرة مراعاة النقاط التالية:

١- أن نضع في الاعتبار أن أسئلة الطفل وسيلة مهمة من الوسائل التي تساعد على النمو العقلي والمعرفي للطفل.

٢- عدم نهر الطفل عن السؤال أو الطلب منه عدم السؤال.

---

(١) محمد محمود الخوالدة، المنهاج الإبداعي الشامل في تربية الطفولة المبكرة، ط١ (عمان: دار المسيرة، ١٤٢٤هـ).

٣- الإجابة عن جميع الأسئلة دون تهرب؛ لأننا إذا لم نجب عليها فإن الطفل سوف يبحث عن الإجابة لدى الآخرين، وقد يحصل على إجابات لا نرضاها أو ربما يُستغل من خلالها.

٤- أن يكون ما نقدمه من إجابات صحيحاً وليس كذباً ولكن بما يناسب عمر الطفل؛ لأن أسئلة الطفل المحرجة قد تدفع الآباء أحياناً للكذب وهذا ما لا ينبغي تنفيذاً للأمر الشرعي، فالإسلام نهانا عن الكذب حتى على الصغار، فلقد سمع الرسول ﷺ أم عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، تناديه بقولها: «تَعَالَ أُعْطِكَ»، فسألها عما ستعطيه فأجابته بأنها ستعطيه تمراً فقال لها ﷺ: « أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ»[1][2].

- الخصائص الانفعالية:

يُعدُّ النمو الانفعالي مسألة ضرورية لإنماء شخصية الطفل ولكنه ينمو بصورة تدريجية ويتأثر بردود الأفعال السائدة في البيئة، التي قد تختلف باختلاف الظروف والأشياء والأفراد والمواقف التي تؤثر في تنشئة الأطفال.

ويلاحظ أن أول الانفعالات تظهر بصورة مركزة حول ذات الطفل كالخجل والشعور بالذات ولوم الذات ومشاعر الثقة بالنفس، كما يتوجه الطفل بالحب نحو الوالدين بسبب إشباع حاجاته من قبلهما، فمفهوم

---

(١) أخرجه أبو داود وحسنه الألباني.

(٢) عمر بن عبد الرحمن المفدى، علم نفس المراحل العمرية، ط١ (دون ناشر، ١٤٢١هـ) ص٢٤٦- ٢٤٧.

(الذات) يعدُّ جانباً من أهم جوانب الشخصية؛ ويقصد بمفهوم (الذات) الفكرة التي يحملها الفرد عن نفسه، وقد تحمل تقديراً إيجابياً أو سلبياً؛ ويتدرج الناس في تقديرهم لذواتهم بين السلبية الشديدة والإيجابية الشديدة، وتتميز انفعالات الطفل بالشدة والتنوع والتقلب والشفافية وعدم الاستقرار، فمرةً يميل إلى الحب الشديد وأخرى إلى الغضب الشديد والكراهية والبكاء والضحك والعبوس والبشاشة إلى غير ذلك.

ويظهر على الطفل شعور الخوف بسبب فقدان الأمن أو فقدان أمه، كما يخاف من الحيوانات والظلام والأشباح؛ ويتطور السلوك الانفعالي من حالته الجسمية إلى حالته اللفظية وبخاصة أثناء نوبات الغضب، وتعتري الطفل الغيرة حينما يشاركه شقيقه الأصغر في حب أمه فيشعر أن مكانته قد هبطت لذلك يسلك سلوكاً انفعالياً لإعادة اهتمام والديه، ويلاحظ أن الطفل يخاف الأماكن المهجورة وبعض الحيوانات، ويظهر الخوف على الطفل بصورة عامة تشمل جسمه ووجهه ثم يتحول إلى هرب وهياج، ولذلك يُنصح الآباء بضرورة المشاركة الشخصية والإشراف المباشر على تربية الأطفال الذين هم في مرحلة الطفولة بمساعدتهم في التغلب على الانفعالات السلوكية وإشباع حاجاتهم وإشعارهم بالاطمئنان وتخفيف عوامل الخوف والقلق والاضطرابات الأخرى وتعليمهم ضبط الانفعالات وتأمين صحة نفسية تساعدهم على السلوك السوي[1].

---

(١) محمد محمود الخوالدة، المنهاج الإبداعي، مرجع سابق، ص٢٥.

إذاً نرى مما سبق أن التأثر والتشكيل يكون خلال مرحلة الطفولة، ويثبت تدريجياً في مرحلة المراهقة، مما يكاد يكون من الصعب تغييره بعدها.. وتعديل بعض سلوكيات الأطفال يتطلب تعديل مفهومهم عن ذواتهم، فهناك أساليب يلجأ إليها الأطفال لتأكيد ذواتهم والتعامل معها فما أن يدرك الطفل مع نهاية عامه الثاني تقريباً أنه كيان مستقل بذاته عن الآخرين إلا ويبدأ في سلوك أساليب يهدف من ورائها إلى تأكيد ذاته، من هذه الأساليب:

١- الإصرار على الرأي.

٢- الميل لممارسة الاختيار.

٣- التصرف الذاتي (المبادرة).

٤- تقليد سلوك الوالدين.

٥- الاستقلال النفسي ومحاولة الطفل الاعتماد على نفسه في القيام ببعض الأشياء.

٦- المنافسة.

- مخاوف الأطفال:

مع أن مخاوف الأطفال كثيرة ومتنوعة ومتعددة فإن هناك بعض المخاوف تبرز بشكل واضح في بعض السنوات أكثر من غيرها، من ذلك:

١- الخوف من الأشياء المتخيلة:

وتبرز هذه المخاوف بين الرابعة والسابعة تقريباً وذلك لخصب خيال الطفل وتأثره بما يسمع.

٢- الخوف من الخبرات الجديدة:

تتميز السنوات الوسطى من (٦- ٩) تقريباً بالخوف من الخبرات الجديدة مثل الذهاب إلى المدرسة وقد يمتزج الخوف بانفعالات أخرى مثل الفرح والشوق مما يجعل الطفل أحياناً في وضع متناقض.

ومن هنا وجب الاعتناء كثيراً بهذه الخبرة سواء من قبل الآباء أو المدارس للتخفيف من آثارها السلبية، وحتى لا ينعكس ذلك على اتجاهات الطفل المستقبلية نحو المدرسة.

٣- الخوف من الرفض:

المقصود به خوف الطفل من أن والديه قد لا يرغبون فيه وأنهم يمكن أن يتخلوا عنه، وهذا الخوف يظهر عند بعض الأطفال بين سن (٦- ١٢) تقريباً؛ لأن محدودية تفكير الطفل وما يكوّنه من تصورات نتيجة تهديدات من والديه تجعل الطفل يصدق ذلك ويخشاه، وقد لوحظ في عدد من الدراسات أنه متى ما تكوّن لدى الطفل تصور بأن والديه يكرهونه فإنه سيكره نفسه، ويترتب على ذلك بعض المشكلات النفسية[١].

(١) عمر بن عبد الرحمن المفدى، علم نفس المراحل العمرية، مرجع سابق، ص١٤٢، ٢٧٤، ٢٨٦.

- الخصائص الاجتماعية:

يمثل النمو الاجتماعي مسألة ضرورية لإنماء شخصية الطفل، ويدور التكوين الاجتماعي للطفل حول التعامل مع نفسه والتعامل مع الآخرين الذين يعيشون معه ويتفاعل معهم خارج الأسرة، والتكيف مع الأشياء من حوله، والتوافق الاجتماعي واستمرار التنشئة الاجتماعية.

ومن أبرز مظاهر النمو الاجتماعي زيادة وعي الطفل بذاته وزيادة إدراكه للبيئة الاجتماعية وما فيها من علاقات، وزيادة المشاركة الاجتماعية، وتوسيع قاعدة التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة ومع الأتراب، وتشكيل المعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية، بإدراك الخطأ والصواب، وإنماء صداقات مع الأطفال الآخرين واللعب معهم، ومحاولة جذب انتباه الراشدين من حوله، والميل إلى حب الثناء والتقدير، واللعب مع جماعات محدودة العدد.

والطفل يتأثر بطبيعة العلاقة بين الوالدين واتجاههما، وطريقة تنشئتهما للطفل، وما يسود الأسرة من حالة نفسية وسلوك اجتماعي، لذلك يُنْصح الآباء والمربون بإشباع حاجات الطفل، وبخاصة الحب والحنان والأمن النفسي وتحسين صورة العلاقات داخل الأسرة، وتعليمه الأدوار الاجتماعية التي تتطلبها مرحلته الإنمائية، وتحاشي التسلط والعقاب في تعديل السلوك، وتشجيع الطفل على التفاعل مع الأشياء المحيطة والتعرف عليها[1].

---

(١) محمد محمود الخوالدة، المنهاج الإبداعي، مرجع سابق، ص٢٦.

المبحث الثاني

حقوق الطفل في الإسلام

لقد اهتم التشريع الإسلامي بأمر الطفل، وأحاطه بالرعاية، وأقر له من الحقوق ما يضمن له حياة كريمة، وسنورد بعض الحقوق التي كفلها الإسلام للأطفال، ونقصد بكلمة «حقوق» تلكم الأمور الثابتة الواجبة الوفاء للطفل، التي وجه إليها الدين الحنيف في السلوك، الذي ينبغي أن يلتزم به المسلم تحقيقاً لأهداف الحياة وفق التصور الإسلامي.

ولخطورة مرحلة الطفولة اهتمت الأديان السماوية والحضارات الإنسانية والقوانين الوضعية بتوفير البيئة الصالحة لنمو الطفل، وبقدر ما تنجح الأمم والشعوب في رعاية أطفالها وإشباع حاجاتهم المادية والنفسية والاجتماعية وتربيتهم على القيم والمثل العليا والأخلاق الفاضلة تتكون أجيال جديدة قوية البنيان قادرة على العمل والخلق والإبداع.

ولقد شهدت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية اهتماماً ملحوظاً بحماية حقوق الإنسان واحترام آدميته، وتجلى ذلك بشكل واضح في الدساتير والتشريعات والاتفاقيات الدولية التي تلزم الدول باحترام حد أدنى من الحقوق الإنسانية. ومع تصاعد حركة حقوق الإنسان بدأ التركيز على حماية الطوائف الإنسانية الأكثر ضعفاً والأكثر حاجة للحماية والرعاية ومن بينها الأطفال.

وقبل أن تعرف الإنسانية ما يسمى حالياً «بحقوق الإنسان» اعترفت الشريعة الإسلامية قبل ما يزيد عن أربعمائة عام بعد الألف بحقوق وضمانات للإنسان وللطفل بشكل خاص لا يجوز حرمانه منها أو الانتقاص من جوهرها، وألزمت المخاطَبين بأحكامها بضرورة كفالتها، وتوعدت من يخل بها بعقاب في الدنيا والآخرة.

وحقوق الطفل في الشريعة الإسلامية كثيرة ومتعددة الجوانب للحفاظ عليه، خَصّت الأم ببعضها، وهي الحقوق التي تكون الأم أقدر من غيرها على القيام بها، وخَصّت الأب ببعضها كونه أكثر قدرة عليها، وخَصّت ولي الأمر أو الحاكم ببعضها الآخر، وجعلت الدولة الإسلامية في نهاية المطاف مسؤولة دينياً عن إعالة من لا عائل له والإنفاق على من لا مال له؛ والشريعة الإسلامية في هذا التوزيع الدقيق المتوازن جعلت مرادها مصلحة الطفل باعتباره رجل المستقبل وذخيرة الغد.

ولقد أوجبت الشريعة الإسلامية للطفل حقوقاً مادية وأخرى أدبية تسبق مولده وتواكب نشأته وتستهدف حفظ بدنه وصحته وإنماء ذهنه وإحياء ضميره وتحسين خلقه حتى يبلغ الحلم ويتحمل تبعة التكليف الشرعي بالإيمان والعمل الصالح فيسهم في عمران الكون ويحقق الخير لذاته وأمته.

وحدد الإسلام واجبات الوالدين تجاه الأطفال بتنشئتهم على أخلاق الإسلام، وأوجب على المربي أن يسلك في تربية الطفل نهجاً وسطاً فيمنع القسوة والعنف ويبتعد عن التدليل الزائد، كما أن الشريعة الإسلامية

حريصة على نشأة الطفولة في بيئة صالحة وظروف مواتية، ولهذا حرصت على التكوين السليم للأسرة من جميع النواحي، فأوصت باختيار شريك الحياة، حيث ينصح الإسلام باختيار الزوجة الصالحة ذات الدين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ﴾ (البقرة: ٢٢١).

وقال رسول الله ﷺ: « **تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[١].

وعندما سئل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: ما حق الولد على أبيه؟ قال: «أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن».

وكما اهتم الإسلام باختيار الزوجة الصالحة دعا أيضاً إلى ضرورة تفضيل الرجل الصالح، فقال ﷺ: « **إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ**»[٢].

وإذا كانت الوثائق والاتفاقيات الدولية قد حرصت على منح الطفل مجموعة من الحقوق منذ ميلاده، فإن الشريعة قد حرصت على حقوق الطفل قبل ذلك وهو ما يزال جنيناً في بطن أمه، فأكدت حقه في الحياة وأقرت حقوقه المالية وحرصت على العناية بالأم الحامل رعاية لها ولحملها[٣].

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، رقم ٣٦٣٥، ص٦٢٣.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) عبد العزيز مخيمرعبد الهادي، حقوق الطفل بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي (دراسة مقارنة) ط١ (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٩٧م) ص٤.

فنجد أن الفقهاء عرفوا الحق بأنه: ما ثبت في الشرع للإنسان أو لله تعالى على (الغير)، أي هو كل شيء مكنت الشريعة الإنسان منه وسلطته عليه، ومن هنا فالحقوق مصدرها التشريع الإلهي أو التي سنها رسول الله ﷺ أو التي لا تتعارض مع نص شرعي، وعلى ذلك فالحقوق بهذا المفهوم هي التي فيها صلاح البشر جميعاً في إطارها العام وبالمعنى الحقيقي.. ومن هذه الحقوق:

١- حق الحياة:

إن الأصل في الشرع الإسلامي سلامة النفس البشرية ووجوب الحفاظ عليها وتحريم التعدي عليها بأي فعل أو وسيلة ما لم يكن ثمة سبب شرعي موجب، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة:٣٢)، فنجد في الآية أنه عز وجل ساوى بين قتل النفس الواحدة بقتل البشر جميعاً، وساوى بين إحيائها بإحيائهم جميعاً، ويستوي في ذلك الكبير والصغير والذكر والأنثى والصحيح والعليل، وقد حرم الإسلام كل عمل ينتقص من حق الحياة سواء أكان ذلك العمل تخويفاً أم إهانة أم ضرباً أم اعتقالاً أم تطاولاً أم طعناً في العرض، حيث إنها نعمة وهبها الخالق جل وعلا؛ فهدا الإنسان وأحاطها بأكبر سياج من الضمانات لحمايتها من أي عدوان، فحياة الإنسان المادية والأدبية موضع الرعاية والاحترام في الإسلام،

وبهذه التوجيهات قرر الإسلام حقاً ثابتاً للإنسان وهو حقه في الحياة لا يحل انتهاكه بأي شكل من الأشكال[١].

ولقد أوصى الرسول ﷺ في خطبته الشهيرة المسماة بخطبة الوداع بمنع سفك الدماء، بقوله: « **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»[٢].

فهذا الحق يعتبر ألصق الحقوق بوجود الإنسان، وهو حق طبيعي له، ومن نعم الخالق سبحانه، ولكن بعض الحضارات كانت تحرم الإنسان حقه هذا، ففي العصور القديمة كان الناس لا يقيمون وزناً لهذا الحق فيزهقون أرواح الأطفال خشية الفقر أو العار، وجاء القرآن ينهى عن القتل ويشرع شريعة القصاص وأعطى حق الحياة لكل طفل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١)[٣].

---

(١) عبد الله بن ناصر السدحان، أطفال بلا أسر (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ) ص٢٧-٢٩.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) خالد عبد الرحمن العك، تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٦هـ) ص٩٦؛ وأشير هنا إلى أن المملكة العربية السعودية قد اعتنت بحق الحياة والرعاية لكل الأطفال ووفرت كل السبل المؤدية إلى ذلك من أمن وغذاء وصحة ودعت إلى التعامل بالعقل والحكمة، ويسرت لكل أسرة سبل الحياة والمحافظة على أطفالها بكل رحمة وعطف، ومن النظم المطبقة للمحافظة على الحياة والبقاء والنماء. قانون حظر الإجهاض، فقد نصت المادة ٢٤ من نظام مزاولة مهنة الطب البشري الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٣ في ١٤٠٩/٢/٢١هـ-١٩٨٨/١٠/٢م على أن يحظر إجهاض المرأة الحامل إلا إذا اقتضت ذلك ضرورة إنقاذ حياتها؛ انظر تقرير المملكة العربية السعودية حول التدابير المتخذة لإنفاذ اتفاقية حقوق الطفل، اللجنة الوطنية السعودية لرعاية الطفولة ١٤١٩هـ، ص٤٨.

٢- حق النسب:

بعد أن ضمن التشريع الإسلامي للطفل الحق في الحياة ضمن له الحق في النسب والانتساب لأبيه حتى لا يكون عرضة للجهالة ومن ثم ضياع حقوق أخرى مثل الإنفاق والإرث، فيقرر الله عز وجل ذلك في قوله سبحانه: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب:٥)، كما حرم الإسلام التلاعب بالأنساب أو محاولة انتساب الابن لغير أبيه، ورتب على ذلك العقاب الشديد، فلقد ثبت أن الرسول ﷺ قال: « مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ»[١].

أما بالنسبة للطفل اللقيط أو مجهول النسب فمن الحقوق المقررة له شرعاً أن يجعل له اسم يُدعى به، ويشترط في هذا الاسم أن يكون إسلامياً لا يتنافى مع أحكام التسمية في الشرع[٢].

والشريعة الإسلامية قررت أن النسب لا يثبت إلا بولادة حقيقية ناشئة من علاقة غير محرمة، لذلك حرم الإسلام التبني تحريماً قاطعاً ونفى أن يكون التبني سبباً لثبوت النسب، لذلك من حق الأطفال أن يُنسبوا إلى آبائهم، ويجوز أن يُعهد بهم إلى أسر تتولاهم، ويكونوا بمنزلة الأبناء وليس من قبيل

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أطفال بلا أسر، مرجع سابق، ص ٣١- ٣٢.

التبني، ولقد تبنى الرسول ﷺ مولاه زيد بن حارثة بعد أن أهدته إليه زوجته خديجة فكان يُنادى زيد بن محمد فنـــزل القرآن ينفي التبني نفياً مطلقــاً[(١)] بقولـــه: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب:٤).

فإثبات النسب للطفل ليس حقاً له وحده ولكنه حـــق لـــلأب والأم كذلك، وهو أيضاً حق لله تبارك وتعالى، فهو حق للأب لأن من حقه صيانة ولده من الضياع ولأنه يترتب على ثبوت نسبه منه حقوق أخرى كحقه في الولاية عليه حال صغره وكحقه في إنفاق ابنه عليه إذا كان محتاجاً وكحقه في الإرث من تركته إذا توفي قبله[(٢)].

وهو كذلك حق للأم؛ لأن من حقها أن تدفع عن نفسها تهمة الزنـــا وأن تصون ابنها من الضياع، كما أنه يترتب على ثبوت النسب للأم حقوق كإرث الولد منها وإرثها منه، وحقها في إنفاقه عليهـــا في حالـــة عجزهـــا وقدرته على النفقة عليها[(٣)].

---

(١) خالد العك، تربية الأبناء والبنات، مرجع سابق، ص٩٥.

(٢) محمد الحسيني حنفي، الأحوال الشخصية: حقوق الأولاد والأقارب (القاهرة: بـــدون ناشر، ١٩٦٤م) ص١٠.

(٣) محمد بن أحمد الصالح، الطفل في نظر الشريعة الإسلامية، مجلة كليـــة الـــشريعة، الرياض، عدد ١١، السنة ١٤٠٠هـــ.

٣- حق الرضاع:

يتفق علماء الاجتماع والطب على أن الأم هي أقرب الناس إلى ولدها، وأن لبنها هو أفضل غذاء له من غيره، وقد دعت المنظمات الدولية المعنية بالطفولة الأمهات في جميع أنحاء المعمورة إلى العودة إلى الرضاعة الطبيعية لما في ذلك من تأثير كبير على صحة ونمو ونفسية الطفل؛ والشريعة الإسلامية وجهت الوالدات بأن يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة، وجعلت حق الطفل في الرضاع واجباً دينياً[١]، وذلك مصداقاً لقوله الله عز وجل: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ (البقرة:٢٣٣).

ولقد أجمع الفقهاء على وجوب إرضاع الطفل ما دام في حاجة إليه، وهو في سن الرضاع مع اختلاف في وجوبه على من؟ حيث قال بعض الفقهاء: يجب على الأب الاسترضاع لولده، وقال بعضهم: إنه يجب على الأم بلا أجرة، وأياً كانت الاختلافات الفقهية فإن المهم هنا هو ضمان حصول الطفل على الحليب اللازم لنموه في صغره حتى إن مات والده وأصبح يتيماً، وهذا الحق مقرر كذلك للطفل اللقيط[٢].

---

(١) خالد العك، تربية الأبناء والبنات، مرجع سابق، ص١١٤.

(٢) أطفال بلا أسر، مرجع سابق، ص٣٣.

٤- حق النفقة:

وهذا الحق من الحقوق المقررة للأبناء على الآباء في التشريع الإسلامي، وقد أجمع الفقهاء على أن على المرء نفقة أولاده الأطفال الذين لا مال لهم؛ لأن ولد الإنسان بعضه وهو بعض والـــده، كما يجب عليه أن ينفق علـــى نفسه وأهله وأبنائه، كذلك على بعضه وأهله، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق:٧).

كما عدَّ الرسول ﷺ النفقة على الأبناء والأهل خير نفقة ينفقها الرجل، فعَنْ ثَوْبَانَ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُـــهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِه، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِه فِي سَـــبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِه فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»(١).

والنفقة الواجبة كما يعرفها الفقهاء هي: كفاية من يمونه خبزاً وإدامـــاً وكسوة ومسكناً وتوابعها، كما تشمل النفقة الرضاع والحضانة والعـــلاج والمصاريف المدرسية وغيرها من الأمور اللازمة(٢).

وقد رُوي في الحديث أن رجلاً من الأنصار توفي، وخلـــف أطفـــالاً صغاراً، وكان قد صرف ما يملكه من أموال قبيل موته بقصد العبادة وجلب رضا الله مما أدى بأطفاله إلى أن يمدوا يد العوز والحاجة يوم وفاته، وعنـــدما

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أطفال بلا أسر، مرجع سابق، ص٣٤.

بلغ هذا النبأ إلى النبي ﷺ قال لقومه: «ما صنعتم به؟» قالوا: دفناه، فقال: «أما أني لو علمته ما تركتكم تدفنونه مع أهل الإسلام، ترك ولده يتكففون الناس»[1].

ولقد أشارت المادة (٢٧) من اتفاقية حقوق الطفل إلى مسؤولية الإنفاق على الطفل فتعترف الفقرة الأولى من هذه المادة بحق كل طفل في مستوى معيشي ملائم لنموه البدني والعقلي والروحي والمعنوي والاجتماعي، وتحمّل الفقرة الثانية من المادة نفسها الوالدين أو أحدهما أو الأشخاص الآخرين المسؤولين عن الطفل المسؤولية الأساسية في القيام، في حدود إمكاناتهم المالية وقدراتهم، بتأمين ظروف المعيشة اللازمة للطفل[2].

وإذا كان للأب الأجر والمثوبة في التوسعة على الأهل والإنفاق على العيال فإن عليه الوزر والإثم إذا أمسك عن الإنفاق على الأهل والأولاد وهو يستطيع من مأكل ومشرب.

وإذا لم يستطع الأهل الإنفاق على أولادهم فلهم الحق في الإعاشة من بيت مال المسلمين من مأكل ومشرب وعلم[3].

---

(١) أخرج أبو داود، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ».

(٢) حقوق الطفل بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي: دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص ١٢٧، ١٣١.

(٣) تربية الأبناء والبنات، ص٩٧.

٥- حق التعليم:

لقد حث الإسلام على طلب العلم وفرضه على كل مسلم ومسلمة، يقول الرسول ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»(١)، والخطاب هنا يشمل الذكر والأنثى كما هو مقرر لدى شراح الحديث، وقد أوجب الإسلام على الآباء تعليم أطفالهم، وهذا ما فهمه علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، من قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (التحريم:٦)، حيث قال: «علموهم وأدبوهم»، وينقل الشوكاني عن ابن جرير، رحمهما الله، قوله في هذه الآية: فعلينا أن نعلم أولادنا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الأدب(٢)؛ ويروي الترمذي، رحمه الله، قول الرسول ﷺ: « لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ»، وقوله ﷺ: «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ».

فمن كل هذه الآثار يتبين حق الطفل في التعلم والتعليم مع ضرورة مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال وإعطاء كل عمر ما يناسبه من جرعة تعليمية تتوافق مع قدراته وتتواءم مع مرحلته العمرية، ولعل من إنفاذ هذا الحق في وقتنا المعاصر إلحاقه في المدارس إذا وصل إلى سن الدراسة المقررة نظاماً، ومن إنفاذ هذا الحق وهو المقدم تعليم الطفل الآداب والسلوك

---

(١) الحافظ ابن ماجه القزويني، سنن ابن ماجه، ط٢ (الرياض: دار السلام،١٤٢١هـ) ص٣٤، حديث رقم ٢٢٤.

(٢) الإمام محمد الشوكاني، فتح القدير (بيروت: دار ابن حزم ، ١٤٢١هـ) ص١٧٩٨.

والمهارات الأساسية وما يطيقه من عقائد وعبادات تتناسب ومستوى نضجه العقلي والنفسي والاجتماعي[1].

ويرى ابن القيم «وجوب تأديب الأولاد وتعليمهم، والعدل بينهم، حيث يقول: إن من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة؛ وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسنته، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم و لم ينفعوا آباءهم كباراً.. وكم من والد حرم ولده خير الدنيا والآخرة وعرضه لهلاك الدنيا والآخرة، وكل هذا عواقب تفريط الآباء في حقوق الله وإضاعتهم لها وإعراضهم عما أوجب الله عليهم من العلم النافع والعمل الصالح»[2].

ولقد اهتمت معظم وثائق حقوق الإنسان بحق الطفل في نيل حد أدنى من التعليم، واعتبرت هذا الحق من الحقوق الأساسية للطفل، فالمبدأ السابع من إعلان حقوق الطفل (٨٩) لسنة ١٩٥٩م ينص على تمتع الطفل بالحق في التعليم، ويكون التعليم مجانياً وإلزامياً على الأقل في مراحله الأولى، على نحو يرفع ثقافته وينمي قدراته وحسن تقديره للأمور وشعوره بالمسؤولية لكي يصبح عضواً مفيداً في المجتمع، وتعتبر مصلحة الطفل العليا هي المبدأ الذي يسترشد به المسؤولون عن تعليمه وتوجيهه وفي طليعتهم والده؛ وتعالج المادة (١٣) من العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لسنة ١٩٦٦م حق كل طفل في الحصول على حد أدنى من التعليم، كما تنص على جعل التعليم الابتدائي إلزامياً وإتاحته مجاناً للجميع[3].

---

(١) أطفال بلا أسر، مرجع سابق، ص٣٨- ٣٩.

(٢) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، مرجع سابق، ص١٧٦، ١٨٠.

(٣) حقوق الطفل بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، مرجع سابق، ص٩٢.

٦- حق الطفل في اللعب:

أثبتت دراسات علم النفس الاجتماعي أهمية اللعب للأطفال، فاللعب يهيئ للطفل فرصة فريدة للتحرر من الواقع المليء بالالتزامات والقيود والإحباط والأوامر والنواهي، كما يهيئ للطفل فرصة اكتساب معارف جديدة، ويتمثل ذلك باكتشاف الطفل للعلاقات السببية بين الفعل ورد الفعل أو بين ما يقوم به وما يترتب عليه من نتائج، فضلاً عن أنه يسمح له بالتخلص ولو مؤقتاً من الصراعات التي يعانيها.. والواقع أن الشريعة الإسلامية كانت سباقة قبل غيرها في إقرار هذا الحق للطفل، فقد أمرت الشريعة بهذا الحق صراحة ودعت المسلمين ليس فقط إلى إقرار حق الطفل في اللعب، بل أيضاً دعت الكبار لمشاركة الصغار في ألعابهم.

وقد أورد علماء الحديث نصوصاً كثيرة في كتبهم تحت عنوان: «استحباب التصابي مع الولد وملاعبته» تفيد أن اللعب مع الأطفال من الأمور المستحبة في الشريعة الإسلامية.

وقد أقرت اتفاقية حقوق الطفل حق الطفل في اللعب، وهو الحق الذي سبق أن أقرته الشريعة الإسلامية منذ وقت طويل للطفل، فالمادة ٣١ من الاتفاقية تنص على: «تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في الراحة ووقت الفراغ ومزاولة الألعاب وأنشطة الاستجمام المناسبة لسنه والمشاركة بحرية في الحياة الثقافية وفي الفنون»[1].

---

(١) حقوق الطفل، مرجع سابق، ص١٠٢- ١٠٣.

إذاً نجد أن الإسلام قبل غيره اهتم بهذا الجانب في حياة الطفل، وحسبنا حديث عَائِشَةَ، رَضِي اللَّه عَنْهَا، قَالَتْ: «كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي»[1].

وتوضح عائشة، رضي الله عنها، ذلك الجانب في شخصية الصغير في حديث رؤيتها الحبشة وهم يلعبون والرسول ﷺ يسترها بردائه بقولها: «فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ»[2].

٧- حق الطفل في العدل والمساواة في المعاملة:

يعتبر الإسلام المساواة في معاملة الأطفال ذكوراً وإناثاً من الأمور المهمة التي تبني عليها الأسرة أسلوب تنشئة أبنائها؛ فقد روى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال: «**اعدلوا بين أبنائكم**»، وهذا ينفي عن الأسرة تفضيل الذكور عن الإناث أو تفضيل الابن الأكبر عن سائر أخوته، أو تفضيل ابن على آخر بسبب تعدد الزوجات أو لأي سبب آخر، قال تعالى: ﴿ اَعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ (المائدة:٨). فالإسلام لم يفرق في المعاملة الرحيمة والعطف الأبوي بين رجل وامرأة وذكر وأنثى. وإذا وُجد في المجتمع

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، مرجع سابق، حديث رقم ٦١٣٠، ص١٠٦٨.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة، حديث رقم٥٢٣٦، ص٩٣٥.

الإسلامي آباء ينظرون إلى الولد نظرة تمييز عن البنت فالسبب يعود إلى البيئة الفاسدة، التي رضعوا منها أعرافاً ما أنزل الله بها من سلطان تتصل بالجاهلية، وهذا يعود أيضاً إلى ضعف الإيمان لكونهم لم يرضوا بما قسمه الله لهم من البنات.

فالإسلام بدعوته إلى المساواة المطلقة والعدل الشامل لم يفرق في المعاملة الرحيمة والعطف الأبوي بين رجل وامرأة وذكر وأنثى.

وروى مسلم عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْهَدْ أَنِّي قَدْ نَحَلْتُ – أي أعطيت – النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ مَالِي، فَقَالَ: **أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ؟** قَالَ: لا، قَالَ: **فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي**.. ثُمَّ قَالَ: **أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟** قَالَ: بَلَى، قَالَ: **فَلا إِذًا**.. وفي رواية أخرى لمسلم قال: «**أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ**، قَالَ: لا، قَالَ: **اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلادِكُمْ**»، ووجه الدلالة في ذلك أن عدم المساواة بين الأولاد حرام، فوق أنه تمييز لبعض الأولاد على بعضهم الآخر، وهو من شأنه توليد العداوة والحقد والبغضاء بينهم ويؤدي إلى قطيعة الرحم[1].

---

(١) انظر تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق، ص١٥٨.

المبحث الثالث
الحاجات النفسية للطفل

لاحظ المربون وعلماء النفس المعنيون بالطفولة أن للأطفال حاجات نفسية لاتقل في أهميتها عن حاجتهم إلى الغذاء وإلى الرعاية الصحية والجسمية، فإذا وفّى القائمون على تنشئة الأطفال وتعليمهم بهذه الحاجات وراعوها في سلوكهم مع تلاميذهم سارت العملية التربوية والتنشئة على وجهها الصحيح وفي طريقها الناجح واستقامت الصحة النفسية لأولئك التلاميذ، وإن تجوهلت هذه الحاجات، اضطربت أحوال الناشئين وتخلخلت العملية التربوية بقدر ما حصل من الإخلال والتجاهل، وفقد الناشئون «الصحة النفسية»، التي لا تقل عن الصحة الجسمية أهمية بل ولا تنفصل عنها.

ومن هذه الحاجات:

١ - الحاجة إلى الأمن والطمأنينة:

يشعر الأطفال بالحاجة إلى الحماية والرعاية ممن هم أكبر منهم سناً وأعظم قدرة، ويلجأ الصغير كلما انتابه ما يخافه ويفزعه أو يهدده إلى حضن أمه وكنف أبيه أو القائم على شأنه.

ومن الضروري أن يشعر الكبار أولادهم وصغارهم بأهم نعم الملجأ لهم عند الخطر، ولكن من الحكمة أن نعرف سبب خوف الصغار، فقد يكون في بعض الأحيان وهماً قائماً على الجهل أو يكون بداية عقدة تتكون لسبب من الأسباب، وفي هذه الحالات يكون اكتشاف سبب الخوف أو الذعر أمراً ذا أهمية، ثم يأتي العلاج المناسب[1].

إذاً نرى أن الأمن والطمأنينة حاجة ضرورية في حياة الطفل ينبغي للآباء والأمهات الاهتمام بها كي لا ينعكس فقدانها على سلوكيات الطفل في مستقبله. ونجد أن للطمأنينة أعداء في حياة الطفل وهي:

أ- الخلافات والنزاعات بين الأب والأم؛ لأنه يعتمد في تحقيق الطمأنينة على أبويه، فإذا رآهما غير محققين لهذه الحاجة نزعت الثقة منه.

ب- غياب الوالدين: وذلك يظهر إما بوفاة أو طلاق أو حتى انشغال عن الأبناء ويوكل (الغير) لتربية الأطفال، فيشعر الطفل بعدم الأمن والطمأنينة.

ج- غياب المشاعر الإنسانية: فالطفل يحتاج إلى عاطفة أبوية، فكلما أشبع الأبوان تلك العاطفة للطفل كلما حس بالراحة والدفء والأمن.

د- قلق الوالدين: عندما ينتاب الوالدين شعور بالخوف والقلق يؤثر ذلك على الأبناء، فينتابهم ذلك الشعور وعدم الاستقرار والخوف من المستقبل.

---

(١) مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص٤٦.

وكما أن هناك أعداءً للطمأنينة والأمن فإن هناك وسائل تربوية لتحقيق هذا الأمن وهذه الطمأنينة وهي:

١- أسلوب الرفق واللين؛ لأنهما الأسلوب الأمثل والتعبير الحقيقي على محبة الوالدين لأبنائهما.

٢- اجتناب الشدة والقسوة وكثرة المحاسبة.

٣- الاهتمام المستمر بالطفل وتفقده دائماً[١].

٢- الحاجة إلى المحبة والعطف:

الطفل مخلوق يحتاج إلى محبة وعطف والديه؛ لأنه يتغذى هذه المحبة نفسياً كما يتغذى جسمياً بالطعام، ويوصي الأطباء - أطباء الجسم وأطباء الصحة النفسية- بضرورة توفير هذا العطف، ولو احتاجت الأم إلى الرضاعة الصناعية فيجب عليها أن تحضن وليدها وتدنيه من صدرها كما لو كانت تلقمه ثديها؛ لأنه في هذا الجو من العطف والحنو ينشأ سليماً.

وإذا فقد الصغير العطف والمحبة نشأ غير سوي، وأصاب صحته النفسية والعقلية والخلقية انحرافاً؛ وكثيراً ما تكون بداية الشذوذ والانحراف والإجرام من فقدان الصغير العطف ممن حوله.

وذلك أيضاً واجب المربي نحو تلاميذه.

---

(١) مصطفى أبو سعد، الحاجات النفسية للطفل (بدون ناشر، بدون تاريخ) ص ٢٦- ٢٧.

٣ - الحاجة إلى التكريم والتقدير:

الطفل على الرغم من أنه صغير إلا أنه يحب أن تُقدَّر ذاته ويُشعر بكرامته، وكلما كبر نما لديه ذلك الشعور بالكرامة؛ لأن هذه سمة فطرية من سمات الإنسان الذي كرمه الله، حيث ذكر سبحانه في كتابه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ...﴾ (الإسراء: ٧٠).

فلهذا الشعور مهمة نفسية وتربوية سامية.

٤- الحاجة إلى سلطة ضابطة وموجهة:

إن الطفل بحاجة إلى من يرشده ويوجهه، فالطفل يشعر في أعماق نفسه أنه عند الكبار ما ليس عنده من الأمور، النافع والضار والصحيح والخطأ، وأنه يشعر بحرص أبويه وذويه على الخير له وتحري مصلحته.

ولذا فهو يأنس إلى رأيهم، ويرغب أن يرشدوه إلى ما ينفعه، وينبهوه إلى ما يضره؛ ونحن الكبار قد نسرف في الأمر والنهي والتحكم في تصرفات الطفل فيكون ذلك مما يزهده في هذه السلطة ويصرفه عن الإفادة من توجيهها، فالحكمة تقتضي أن نُشْعر الطفل بحبنا له وحرصنا عليه ونتركه ينشط حتى إذا ما قارب مجاوزة حده نبهناه وأمرناه ونهيناه.

٥- الحاجة إلى النجاح والتشجيع:

نلاحظ أن ارتباط الحاجات النفسية بعضها ببعض وحاجة الطفل إلى النجاح مرتبطة بحاجته إلى الأمن وحاجته إلى التقدير. ومع

هذا فهـــذه الحاجة متميزة ولها أهميتهـــا، فالمحـــاولات الأخرى للطفـــل في أي المجالات إذا أدت إلى نجاح فإن هذا يشـــعره بالثقـــة في نفسه ويدفعـــه إلى تكرار المحاولة وتحسينها، ولذا يجب أن نضـــع الطفل في ظروف يـــنجح فيها من خـــلال الجهـــد الذي يبذلـــه؛ لأن الشعـــور بالإخفاق يفقـــده الثقة بنفسه.

والمربي الحـــكيم لا يقيس إنتاج الطفل بإنتاج الكبار، فالتشجيع هنـــا يأتي في مكانه المناسب، ويؤدي وظيفتـــه التربوية، وعلينا أن لا ننسى «أنه لا شيء يؤدي إلى النجاح مثل النجاح نفسه»، إذاً هذه الحاجـــة يجـــب أن نراعيها بلا إفراط ولا تفريط، فلكل من الطرفين ضرره وعواقبه الـــسيئة في تنشئة الأطفال[1].

---

(١) عبد الرحمن الباني، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص ٤٩.

الفصل الثاني

تربية الطفل في الإسلام

خصائصها.. أهدافها.. وسائلها

المبحث الأول: خصائص التربية في الإسلام

تميزت التربية الإسلامية بخصائص الكمال والتوازن والواقعية، مما أضفى على منهجها الشمول في جميع الجوانب، التي يحتاجها الإنسان وبما يتوافق مع الفطرة الإنسانية؛ ومن أبرز تلك الخصائص:

أولاً: الربانية:

أي أن أحكام الإسلام وتوجيهاته مصدرها من الرب سبحانه وتعالى وليست نابعة من البشر، وهذا ما يميزها عن النظريات الوضعية التي مصدرها الهوى والإنكار، القابلة للرد والتعديل، فتتغير وتتبدل حسب الأهواء والشهوات.

وهذه الربانية تجعل الإنسان يتوجه لرب واحد يستمد منه الأوامر والنواهي، من كتابه وسنة نبيه ﷺ؛ والربانية من حيث الهدف تعني أن المسلم في ظل التوجيهات الإسلامية يبتغي بأفعاله وأقواله رضى الله سبحانه؛ فهو يستمدها من منهج الله.. والتوجيه الإسلامي يربط حياة المسلم بربه،

فمثلاً يربط ما بين الإيمان والحب في الله، والسبيل إلى ذلك خُلُق إفشاء السلام؛ سئل الرسول ﷺ: أيُّ الإسْلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: « **تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[1].

كما أن التخلق للوالدين بالأخلاق الفاضلة من جملة طاعة رب العالمين، والإحسان والتخلق بالعدل والأمانة.

فالتوجيه الرباني يوجه الإنسان لأفضل الأخلاق وأنبلها حتى يبني مجتمعاً يسوده العدل والأمانة والإخلاص وسائر مكارم الأخلاق.

ثانياً: الشمول والتكامل:

يتصف التوجيه الإسلامي بالشمول والتكامل في كل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته ومعاده، وهو في شموله موضوعي، وإنساني، وفطري وزماني، ومكاني؛ فهو موضوعي لأنه لم يفصل بين الدين والدنيا بل شمل شؤون الحياة في الدنيا والآخرة، وإنساني لأنه خاطب البشرية جميعاً، وفطري لأنه وفق ما بين مطالب الروح والجسد، وزماني لأنه التشريع الخالد إلى يوم القيامة، ومكاني لأنه صالح لكل زمان ومكان وليس خاصاً بفترة زمنية أو مكان محدد.

كما بين في شموله علاقة الإنسان بربه الذي خلقه وعلاقته بنفسه وبأسرته وبجيرانه وبمجتمعه الذي يعيش فيه، كما شملت التوجيهات الإسلامية

---

(١) أخرجه البخاري.

الرجال والنساء والصبيان، وأيضاً جوانب الأخلاق، فعَنْ سَلْمَانَ، رضي الله عنه، قَالَ: «قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ، قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلاثَةِ أَحْجَارٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ»[1].

فما ترك الإسلام جانباً من جوانب الحياة إلا وقد تناولتها الشريعة وأوضحت لنا فيها الخير من الشر والطاهر من الخبيث والصحيح من الفاسد.

وبهذا الشمول الذي تتسم به الشريعة الإسلامية فإنها في غاية الكمال، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣).

ثالثاً: التوازن:

من خصائص التربية الإسلامية أنها ملائمة للفطرة والجبلة الإنسانية، فهي تهتم بتربية جميع جوانب الإنسان، الخلقية والجسمية والعقلية، وتحقق التوازن بين مطالب الإنسان الجسدية والروحية، فلا يطغى جانب على آخر، فعندما أمر الله تعالى بالأخلاق الفاضلة حذر الإنسان من الرذائل، وشرع له الطرق والسبل لإقامة ذلك التوازن.

ولحاجة الإنسان للمال أحل له التجارة وحثه على العمل والكسب الحلال وحرم عليه الربا، ولحاجته إلى الطعام أحل له الطيبات من الرزق وحرم عليه الخبائث من الأطعمة والأشربة.

---

(١) أبو الحسن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، ص١٢٥ رقم ٦٠٧.

وبهذا يتضح أن التـوازن سمة من سمات التوجيه الإسلامي، الأمر الذي لا يدع مجالاً للفرد أن يحيد عن الفضيلة الخلقية ليقترف رذيلـة أو يـسلك طريقاً معوجاً ليشبع حاجة من حاجاته، فلا إفراط ولا تفريط، فعَنْ عَبْد اللَّه ابْنِ عَمْرٍو، رضي الله عنهما، قَالَ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ، فَقَالَ: **أَلَـمْ أُخبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟** قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: **فَلا تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْـكَ حَقًّـا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِـكَ عُمُرٌ، وَإِنَّ مِنْ حَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ**، قَالَ: فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: فَـإِنِّي أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ، قَالَ: **فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ**، قَالَ: فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: أُطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ، قَالَ: **فَصُـمْ صَـوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ**، قُلْـتُ: وَمَا صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ، قَالَ: **نِصْفُ الدَّهْرِ**»[1].

فنلاحظ في التوجيه النبوي التوازن بين مطالـب الجـسد والـروح، والتوازن الخلقي بين حق الله وحق الأهل وحق الضعيف وهو النفس.

رابعاً: الثبات والمرونة:

في التوجيه الإسلامي ثوابت لا يمكن تغييرها أو تبديلـها أو حـذفها، وهي القواعد الكلية والمبادئ العامة والأحكام الجزئية التي ورد فيها نـص،

---

(١) أخرجه البخاري.

فإنها لا تتبدل ولا تتغير كوجوب أداء الأمانات إلى أهلها، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب رد المظالم إلى أهلها، وحرمة السرقة والغش والربا، وحرمة بيع المسلم على بيع أخيه فإن هذا كله لا يدخله التغيير ولا التبديل.

ولكن المرونة تظهر في القدرة على وضع الحلول التي تطرأ في حياة الناس؛ والسر في مرونة الشريعة أن الإسلام جاء بقواعد كلية وقيم ومبادئ ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، ثم وجه العلماء للنظر والاجتهاد في المسائل والحوادث الجزئية التي تستجد في إطار هذه القواعد والمبادئ.

فالإسلام وجه المربي، سواء كان أباً أو أماً أو من له حق الولاية في التربية إلى مسؤوليته التربوية، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (التحريم:٦).

وفي الوقت نفسه لم يحدد الإسلام وسيلة محددة لا يمكن تجاوزها، ولكن للعلماء المسلمين اختيار ما لا يتعارض مع منهج الإسلام مما يستجد من وسائل تربوية مفيدة تبني ولا تهدم.

والمتعقل البصير يدرك أن الاستقرار والثبات إلى حد معين لا غنى عنه لتربية الأطفال، والتغيير العنيف السريع يسبب القلق وعدم الإحساس بالأمن للأطفال والشباب، ولا يمكن لتربية حقيقية أن تكون ناجحة في مجتمع تتغير فيه القيم والسلوك والمواقف والأهداف بين عشية وضحاها، فيرى المتربي أن الذي يدعوه إلى فضيلة الصدق بالأمس يكذب اليوم، ويعلل بأن الموقف

يتطلب ذلك، ويرى أن الذي يأمر بإقامة حد من حدود الله يرتكب هو الجرم جهاراً وعدواناً، فكيف بمن يعيش في أوساط تربوية لا ثبات فيها على مبادئ معينة؛ فلا شك أنه سيعيش في تناقض داخلي قد يدفعه إلى سلوك ذلك الاتجاه المتناقض، لذلك نجد أن الأمم التي لا تطبق التشريع الإسلامي تتخبط في تحديد أهدافها التربوية ووسائل تحقيقها، بل أنها تنحدر في الرذائل الخلقية بسبب عدم الثبات واتباع الهوى ونتيجة الإفراط في المرونة.

خامساً: الواقعية:

الإسلام واقعي في توجيهه للسلوك الأخلاقي؛ لأنه نزل من رب العالمين العالم بما خلق؛ وعندما يستسلم الإنسان لله تعالى يجد أنه في إطار واقعي صحيح، وأن الإسلام يحقق له الحياة الواقعية من خلال التنشئة الصالحة التي تعينه وتجعله يشعر بعزة الحياة الإسلامية وواقعها العملي التطبيقي؛ لأنها تعالج قضاياه التربوية بواقعية؛ فالشاب الذي جاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في الزنا وجهه، عليه الصلاة والسلام، بما يحاكي واقعه وفطرته السليمة فاقتنع وأقلع عن مراده.

فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: «إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ، مَهْ. فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ:

وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ، قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[١].

ففي هذا الحديث دلالة على أن العلاج النبوي التربوي كان واقعياً يغرس في الناس حب الفضيلة والعمل بها وكره الرذيلة واجتنابها، وهذا الأمر لا يُستغرب، فالتشريع الإسلامي لا يأمر بفضيلة إلا وواقع الفطرة السليمة يرضاها ويحبها ويحب من يتصف بها، ولا ينهى عن رذيلة إلا وواقع الفطرة السليمة يبغضها ويكرهها، ويأنف المرء أن يتصف بها[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل (الرياض: بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ) ٥/٢٥٧.

(٢) خالد بن حامد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ط٢ (المدينة المنورة: دار الزمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ) ص٤٥، ٥٤.

المبحث الثاني

أهداف تربية الطفل في الإسلام

تعدُّ الأهداف من المباحث المهمة في التربية، وهي تمثل منطلقاً للنشاط التربوي في الإسلام، وهي تعكس الرؤى الثقافية للتربويين، فمنهم من يراها فردية واجتماعية، وبعضهم يراها أهدافاً دينية واجتماعية وثقافية وعملية، إلى غير ذلك من تقسيمات ترتبط بالمذاهب الفكرية التي يعتنقها المربون المسلمون، فالقابسي مثلاً يرى أن الغرض من التربية معرفة الدين، علماً وعملاً، وذلك مرتبط بكونه فقيهاً محدثاً، والغزالي يتجه إلى تدريب الدارسين على الوصول إلى معرفة الله ويهتم بمجاهدة النفس ورياضتها.

وفي ضوء عناية الإسلام بالتربية وأهدافها فقد أمكن تصنيفها إلى: هدف عام وأهداف فرعية، على النحو الآتي:

١ – الهدف العام: عبادة الله:

تهدف التربية الإسلامية إلى تنشئة وإعداد الإنسان ليكون مسلماً عابداً عالماً عاملاً مؤتمراً بأوامر الله ومنتهياً عن نواهيه، تأسياً بقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦).

وعبادته تكون بالعلم، وكذلك خشيته، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (فاطر:٢٨).

٢- أهداف فرعية:

أ- تربية الأبناء عقدياً:

قـــال تعـــالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، فالإنسان لم يخلق إلا للعبادة، ونشاطاته التي يقرها الإسلام لا تخرج عن نطاق العبادة، وليست العبادة التي خلق الله الإنـسان لأجلـها محصورة في الشعائر فقط وإلا كانت التربية الإسلامية تربية أخروية لا تهـتم بغير الآخرة والعبادات المتعلقة بها.

ولما كانت التربية الإسلامية تربية للدنيا والآخرة معاً فـإن العبـادة في الآية الكريمة هي، كما يقول ابن تيمية: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والـصيام والحـج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفـاء بالعهـد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنـافقين والإحـسان للجار والمسكين وابن السبيل والدعاء والذكر وأمثال ذلك من العبادة، فكل ما أمر الله من الأسباب فهو عبادة، وهكذا ينبغي تربية الأبناء عقدياً، ومـن متطلبات ذلك أن يتعمق في قلب الابن مراقبة الله عز وجل وتعظيمـه، وأن يربط الابن بين معنى العبودية والتصرفات الحياتية كالأكل والشرب والنـوم والمدرسة، وأن يؤدي الابن الصلاة كاملة، وأن يتبع سنة محمد ﷺ في كـل شيء، وأن يتعرف على حياة النبي ﷺ.

- ترسيخ حب النبي ﷺ:

يجب على المربي ترسيخ حب النبي ﷺ وتثبيته في نفس الطفل؛ لأن مشاعر الطفل تتحرك بهذا الحب، فالطفل خاصة يحب أن يتشبه بأقوى شخصية حوله ليقتدي به، ونحن في مجال التربية الإسلامية للطفل ينبغي بداية ونهاية أن نرسخ حب الرسول ﷺ في نفس الطفل ليتشبه به، فهو القدوة الثابتة، وهو أكمل البشر، فعَنْ أَنسٍ، رَضِي اللَّه عَنْه، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا**»، قَالَ: لا شَيْءَ إِلا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»، قَالَ أَنسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» قَالَ أَنسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ»(١).

ومعلوم أن أي شخص يحب شخصاً آخر فهو يحاول الاقتداء به، حيث نرى البنت تحاول الاقتداء بأمها والولد يحاول الاقتداء بأبيه ويقلده، فمن الأولى ترسيخ محبة الرسول ﷺ في نفوس الأطفال ليقلدوه ويقتدوا به ويكون هو مثلهم الأعلى، فقد رأينا الصحابة، رضوان الله عليهم، كيف اكتسبوا محبة الرسول ﷺ وكيف أصبح عندهم أغلى من كل شيء، وبالتالي اتصفوا بسرعة الاستجابة لندائه وتنفيذ أوامره، وهذا برهان ودليل على هذا الحب كما رأينا في سرعة مبايعة أطفال الصحابة للرسول ﷺ وقتال الأطفال

---

(١) أخرجه البخاري.

لمن يؤذي النبي ﷺ وحب أطفال الصحابة لمن يحب النبي ﷺ فقد أخرج الخمسة، وهذا لفظ البخاري، عَنْ أَنَسٍ، رَضِي اللّه عَنْه، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى غُلامٍ لَهُ خَيَّاط فَقَدَّمَ إِلَيْه قَصْعَةً فيهَا ثَرِيدٌ قَالَ: وَأَقْبَلَ عَلَى عَمَله - يعني الغلام - قَالَ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ -يعني القرع- قَالَ: فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُهُ فَأَضَعُهُ بَيْنَ يَدَيْه، قَالَ: فَمَا زِلْتُ بَعْدُ أُحبُّ الدُّبَّاءَ.

وكذلك نرى حفظ أطفال الصحابة، رضوان الله عليهم، والسلف للأحاديث النبوية، وحرص الصحابة على تدريس الأطفال السيرة النبوية، ومدى تأثيرها فيهم وحفظهم لأوصاف الرسول ﷺ.

كل ذلك ترسيخاً لمحبته وبالتالي الاقتداء به؛ لأنه المربي الأعظم على مر التاريخ، ولأن محبته منزلة عالية من منازل الإيمان، بل أن المرء لن يتذوق حلاوة الإيمان ولذته حتى يحقق هذا الأمر، فقد روى أَنَسِ بْنِ مَالك، رَضِي اللّه عَنْه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيه وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْه ممَّا سوَاهُمَا، وَأَنْ يُحبَّ الْمَرْءَ لا يُحبُّهُ إِلا للَّه، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(1).

ولكن لا بد أن يسأل كل مربي: كيف نرسخ حب الرسول ﷺ في نفوس أطفالنا؟ إن تربية الأولاد على حب الرسول ﷺ يجب أن تأخذ الخطوات التالية:

---

(1) الإمام الحافظ أبو عبدالله البخاري، صحيح البخاري، ط2 (الرياض: دار السلام، 1421هـ) ص1197، حديث رقم 6941.

١- بيان أن الرسول ﷺ هو القدوة والمثل الأعلى لكل البشرية، وذلك عن طريق سرد سيرته العطرة من أحد الكتب المحببة للنفس، مثل: الرحيق المختوم أو زاد المعاد، فيتأسى الولد بمواقف الرسول ﷺ ويتفاعل معها وكأنه يعايشها فتصير له سجية.

٢- بيان أن طاعة الرسول ﷺ هي عنوان طاعة الله، وأن من أراد أن يدخل الجنة لابد له من طاعة الرسول ﷺ ويقوم المربي بأداء ذلك عملياً أمام أولاده فيأتي بالسنن والنوافل ثم يقول لأولاده: هكذا كان يفعل الرسول ﷺ ثم يرسخ هذه الطاعة بتعليم الأولاد أن الرسول ﷺ سوف يحبهم إذا فعلوا الطاعة وسوف يشفع لهم يوم القيامة فيقوى بذلك إيمانهم وطاعتهم لرسول الله ﷺ.

٣- يقوم المربي برواية أخبار أولاد الصحابة، رضي الله عنهم، وصغار السن مع رسول الله ﷺ وكيف أن الرسول ﷺ هو أول شيء في حياتهم، يروي لهم كيف قاتل معوذ ومعاذ ابنا عفراء الكفار وهما ما زالا أولاداً وقتلوا أبا جهل؛ لأنه كان يسب الرسول ﷺ وقصة زيد بن أرقم، رضي الله عنه، الذي لم يتحمل قلبه الصغير أن يُسَب الرسول ﷺ أمامه من رأس النفاق عبد الله بن أبي سلول فحملها للرسول ﷺ حتى يقتص منه، فيتعلم من هذه المواقف كيف يطيع الرسول ﷺ ويحبه.

ولا يفوتنا في ترسيخ حب الرسول ﷺ أن نراعي أن يكون ذلك عبر القصص الكثيرة والمعبرة مع رسول الله ﷺ وأن تكون لغتنا قريبة لمستوى النمو لدى الطفل، فلا تكون الألفاظ صعبة لا يستطيع فهمها، والاكتفاء

بالأمور التي تتناسب مع مستواه العقلي لكي يحسن استيعابها ويتمسك من خلالها بالرسول ﷺ[1].

فنجد تربيته ﷺ لأصحابه وأبنائهم بعدة وسائل نوّعها، عليه الصلاة والسلام، لكي تلبي حاجات ومتطلبات النمو التي تناسب المرحلة العمرية التي يعيشونها وطبيعة الفروق الفردية والظروف البيئية، وقد عني القرآن الكريم قبل ذلك بتنوع الأساليب التربوية التي تناسب المراحل العمرية.

ب- تربية الأبناء خلقياً:

ينبغي تربية الأبناء خلقياً وتزكية نفوسهم واستقامة سلوكهم على عمل الطاعات والخيرات والتزام الإخلاص، التي ترقى بهم في الحياة الدنيا وتحقق لهم السعادة في الآخرة مثل الصدق والأمانة والوفاء والعفة؛ والأهداف الخلقية تؤكد:

١- تربية الإنسان المسلم على ممارسة السلوك الذي يعكس الأخلاق الإسلامية.

٢- تربية المسلم على الاقتداء برسول الله ﷺ في خلقه، قولاً وفعلاً وصفات، فقد كان خلقه ﷺ القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

٣- تربية ضمير المسلم على حسن المراقبة لله عز وجل.

٤- تزكية النفس وتنقيتها مما يشوبها.

---

(١) شريف عبد العزيز الزهيري، المنهج العلمي التربوي لتنشئة الأطفال حتى سن المراهقة، ط٣ (دار الصفوة، ١٤١٩هـ) ص٣٢.

وهذا يتطلب تربية الأبناء منذ نعومة أظفارهم على عفة اللسان واعتياد الألفاظ المهذبة في التعامل مع الوالدين والمحيطين ليتكون لديهم الخلق الرفيع؛ وللقدوة الوالدية أكبر الأثر في تحقيق ذلك.

وهذه التربية الخلقية تعد حقاً من حقوق الأبناء؛ لأن ذلك ينعكس على المجتمع المسلم فتسود الألفة وتنتشر المحبة بين أفراد المجتمع فضلاً عن سيادة الأمن وسلامة المجتمع من الأمراض النفسية التي تعانيها المجتمعات غير المسلمة؛ كما أن انتشار الأخلاق الفاضلة بين أفراد المجتمع يرغّب غير المسلمين ممن يعيشون في بلادنا فيقبلون على الإسلام ويعتنقونه.

ج- تربية الأبناء اجتماعياً:

تُعنى الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية بتنمية الشعور الجماعي لدى المسلم، وترسيخ إحساسه بالانتماء إلى مجتمعه، بحيث يهتم بقضاياه وهمومه، ويرتبط مع أفراده برباط الأخوة والألفة والمحبة، ويحدث التكافل الاجتماعي معهم في علاقات يسودها التراحم والتعاطف، ويغلب عليها الإيثار والكرم وصلة الرحم وإصلاح ذات البين والإحسان إلى الآخرين واحترام الكبير والعطف على الصغير والرعاية لليتيم والعطف على الأرملة والمسكين والمشاركة الوجدانية للمسلمين في أفراحهم وأتراحهم، فلا مجال للسخرية أو سوء الظن، هذا وغيره كثير من الجوانب الاجتماعية التي تؤكدها التربية الإسلامية، وهذا يتطلب تعريف الأطفال بإخوالهم البائسين والمضطهدين وحثهم على الإنفاق والبذل، فهذه التربية الاجتماعية تساعد على خلو المجتمع من الأمراض الاجتماعية مثل الجريمة والحسد والسحر والبغضاء والعقوق وقطيعة الرحم.

د- تربية الأبناء نفسياً وعاطفياً:

وهي أهداف تعنى بمشاعر الطفل وتقدير نفسيته، وتؤكد احترام شخصيته ليكون شخصاً فاعلاً ونافعاً في مجتمعه وأمته، وليكون إيجابياً واثقاً من نفسه يتحمل المسؤولية.. والارتقاء بنفسية الطفل وتربيته عاطفياً يتطلب احترامه، وعدم إهانته أمام زملائه، وحسن الاستماع إليه، وإشعاره بأهميته وتوجيهه برفق.

هـ- تربية الأبناء جسمياً:

عني الإسلام عناية بالغة بقوة أبنائه وسلامة أبدانهم، وقد وجه القرآن الكريم والسنة النبوية إلى ذلك، ويظهر ذلك واضحاً من خلال توجيهات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عندما كتب لولاة الأمصار بأن يعلموا أولادهم السباحة والفروسية والرياضة البدنية والمهارة الحربية والعناية باللغة العربية ورواية الأمثال السائدة والشعر الحسن، ومن أقوالهم: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل».

ومن مظاهر اهتمام الراشدين، رضي الله عنهم، بالتربية الجسمية عنايتهم بالرياضة البدنية وحثهم على ممارستها لما لها من أثر في قوة الجسم وقدرته على القيام بوظائفه العبادية والمعيشية.

فقد رُوي أن أبا بكر، رضي الله عنه، كان يمارس السباق بالأقدام والمسابقة بالخيل، كما كان فارساً يتميز بالشجاعة وثبات القلب حتى وُصف بأنه أشجع الأمة بعد رسول الله ﷺ [1].

---

(١) تربية الطفل في الإسلام.. النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص ١٤، ٢١.

المبحث الثالث

وسائل التربية الإسلامية

١ - التربية بالقدوة:

القدوة في التربية هي أفضل الوسائل جميعاً وأقربها إلى النجاح، فمن السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج ولكن هذا المنهج يظل حبراً على ورق ويظل معلقاً في الفضاء ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض، ما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه، عندئذ يتحول المنهج إلى حقيقة، إلى حركة، إلى تاريخ، والله سبحانه وتعالى وضع هذا المنهج المعجز وجعل له بشراً تحمله لكي يعرف الناس أنه حق ثم يتبعوه، فقد بُعث الرسول ﷺ قدوة للناس، حيث قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب:٢١) ووضع في شخصه الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، الصورة الخالدة على مدار التاريخ، فقد كان ﷺ عجيبة من عجائب الكون، شخوص كثيرة مجتمعة في شخص واحد.. رجل سياسة يشيد أمته من الفتات المتناثر.

رجل حرب يضع الخطط ويقود الجيوش ويحارب وينتصر كقائد متخصص كل همه القتال؛ وأب وزوج ورب أسرة كبيرة كثيرة النفقات،

نفقات النفس والفكر والشعور فضلاً عن نفقات المال؛ وصديق قريب وصاحب للناس تشغله همومهم وتملأ نفسه مشاعرهم ويعودهم ويزورهم ويعينهم ويمنحهم من مودته وعطفه؛ وعابد متحنث لربه كرجل منقطع للعبادة.

ومع ذلك فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض، الدعوة التي حققت للإنسان وجوده الكامل.. كل هذه الشخوص المتفرقة مجموعة في شخصه، ذلك محمد بن عبد الله النور الذي بهر العالمين، وحق للناس أن يحبوه كل ذلك الحب ويعجبوا به ويتبعوه؛ وكان قدوة للناس في واقع الأرض يرونه تتمثل فيه هذه الصفات كلها وهذه الطاقات فيصدقون هذه المبادئ الحية لأنهم يرونها رأي العين، ولا يقرأونها في كتاب ويرونها في بشر فتتحرك لها نفوسهم ويحاولون أن يقتبسوا منه ﷺ لذلك كان أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان مربياً هادياً بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به، وهذه القدوة باقية ما بقيت السماوات والأرض.

والإسلام يرى أن القدوة أعظم وسائل التربية، فيقيم تربيته الدائمة على هذا الأساس، فلابد للطفل من قدوة في أسرته ووالديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية، ولابد للناس من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام لكي يحملها الأمانة لمن يربوهم من الأجيال، ولابد للمجتمع من قدوة في قائدهم أو زعيمهم تتحقق في شخصه المبادئ وينسج على منواله المحكومين؛ والقدوة للجميع هي شخصية الرسول ﷺ التي تتمثل فيها كل مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه؛ وحين يتكون مجتمع إسلامي فإنه يشرّب

أطفاله مبادئ الإسلام عن طريق القدوة القائمة في هذا المجتمع متمثلة في الأسرة والوالدين[1].

إن الولد الذي يرى والده يكذب لا يمكن أن يتعلم الصدق.

والولد الذي يرى أمه مستهترة لا يمكن أن يتعلم الفضيلة.

والولد الذي يقسو عليه أبوه لا يمكن أن يتعلم الرحمة والتعاون.

والأسرة هي المحضن الذي يبذر في نفس الطفل أول بذرة.

وينبغي أن تكون سيرة الرسول ﷺ جزءًا دائماً من منهج التربية سواء في المنزل أو المدرسة أو الكتاب.

فهذا الطفل ابن عباس، رضي الله عنهما، عندما يشاهد أمامه من يقوم الليل فإنه يسارع لذلك ويلحق برسول الله ﷺ فقد أخرج البخاري عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قَالَ: «بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنٍّ مُعَلَّقٍ وُضُوءًا خَفِيفًا يُخَفِّفُهُ عَمْرٌو وَيُقَلِّلُهُ جِدًّا ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ نَحْوًا مِمَّا تَوَضَّأَ ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَحَوَّلَنِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ صَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ»[2].

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن أبي بكره، رحمه الله، قال: قلت لأبي: «يَا أَبَتِ، إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ: اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي اللَّهُمَّ عَافِنِي

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٢هـ) ١٨٢/١-١٨٣.

(٢) أخرجه البخاري.

فِي سَمْعِي اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلاثًا حِينَ تُصْبِحُ وَثَلاثًا حِينَ تُمْسِي، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ»، ذلك لأن الطفل عبد الله بن أبي بكرة كان يراقب أدعية والده ويسأله عنها ويجيبه والده.

وأحاديث الرسول ﷺ التي تدلنا على أنه كيف كان يربي الناس عامة والأطفال خاصة من خلال القدوة كثيرة، فقد كان يقول ليقتدى به، فمن أحاديثه التي أمر فيها بالإحسان إلى البنات ورعايتهن وأنه يجب على كل عائل بنات أن يحسن صحبتهن ويقتدي به ﷺ حيث إنه أبٌ لبنات وكان يحسن إليهن، ما رواه أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلاثُ أَخَوَاتٍ أَوِ ابْنَتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ»(١).

فينبغي على كل مرب الإحسان إلى البنات وعدم الرجوع لعادات الجاهلية من إهانة البنت وعدم إكرامها، بل التخلق بخلق الرسول ﷺ بالرفق بالبنت وإحسان صحبتها والصبر عليها، لما في ذلك من الأجر العظيم الذي وعد الرسول ﷺ الوالد إذا عمل ذلك بأنها ستكون حجاباً له من النار ويكون قد عمل بوصية الرسول ﷺ حيث قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي.
(٢) أخرجه ابن ماجه.

ولنا أن نتساءل: ما حق البنت في الوقت الحاضر الذي إذا قمنا به نكون قد عملنا بوصية الرسول ﷺ؟ والإجابة:

- رعايتها حق الرعاية وذلك بالاهتمام بإصلاحها والرقي بتعليمها -بالمنزل والمدرسة- الدين والخلق ودعوتها للاقتداء بفضليات النساء اللاتي كن مضرب المثل في الخلق مثل أسماء بنت أبي بكر وصفية بنت عبد المطلب ونسيبة بنت كعب وخولة بنت الأزور وغيرهن كثير؛ لأن البنت إذا صلحت فإننا ننتظر من ابنها أن يكون رجلاً صالحاً.

- النهي عن كراهية البنت، فالقرآن الكريم أولاً وأخيراً صحح النظرة الجاهلية العقيمة التي تدعو إلى كراهية البنت، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل:٥٨-٥٩) وأيضاً السنة النبوية صححت هذا المفهوم الخاطئ، فعن ابن عمر أن رجلاً كان عنده بنات فتمنى موتهن فغضب ابن عمر، فقال: أنت ترزقهن؟ وهذا خطاب نبوي إلى الوالدين في تصحيح التصور عن البنات وعدم الكراهية لهن والمؤانسة لهن.

وقد ذكر ابن القيم، رحمه الله، تحليلاً لقوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (الشورى:٤٩)، أن ما قدره الله من الولد فقد وهبه الله الزوجين، وبدأ بذكر الآيات قيل: جبر لهن لأجل استثقال الوالدين لمكانهن، وقيل - وهو أحسن - إنما قدمهن لأن سياق

الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الوالدين؛ وعند ابن القيم وجد آخر أنه سبحانه قدم ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئدونهن؛ وتأمل كيف نكّر الله سبحانه الإناث وعرَّف الذكور فجبر نقص الأنوثة بالتقديم وجبر نقص الأخير بالتعريف.

وقد يكون للعبد فيهن خير في الدنيا والآخرة، وقال صالح ابن أحمد: كان أبي إذا ولد له ابنة يقول: الأنبياء كانوا آباء بنات، إذن ينبغي إزالة التصور الفاسد عن البنات وعدم الكراهية لهن وإجلال الحب لما أحبه الله ووهبه للوالدين، وأن الخير فيما يختاره الله، والمساواة بين الذكر والأنثى، وعدم المفاضلة بينهم، ومن ثم تربيتهن تربية إسلامية لما لهذه التربية من أهمية ودور كبير؛ فالبنت هي أم المستقبل وصانعة الأجيال والأبطال.

فللقدوة الحسنة أثر كبير في نفس الطفل، فهو يقلد والديه كثيراً؛ ووالداه يطبعان فيه أقوى الآثار، والرسول ﷺ يحثنا على أن نكون قدوة حسنة لأبنائنا في خلق الصدق أثناء تعاملنا معهم، فقد أخرج أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ: تَعَالَ هَاكَ، ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ**». وأخرج كذلك عن عبد الله ابن عامر، رضي الله عنه، قَالَ: «أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِنَا وَأَنَا صَبِيٌّ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَخْرُجُ لأَلْعَبَ، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا عَبْدَ اللَّهِ، تَعَالَ أُعْطِكَ، فَقَالَ لَهَا

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا أَرَدْت أَنْ تُعْطِيَهُ؟ قَالَتْ: أُعْطِيه تَمْرًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَةٌ».

فالوالدان مطالبان بتطبيق أوامر الله وسنة نبيه ﷺ، في جميع أحوالهم وسلوكهم؛ لأن أطفالهم يراقبون هذه الأحوال وتلك السلوك ويلتقطونها سواء، أكانت حسنة أم سيئة. فلذلك يجب على الآباء والمربين انتهاج الطريق الصحيح ليتمثل أبناؤهم ذلك الطريق.

ولكي يتخذ الأطفال آباءهم ومربيهم قدوة وأسوة لهم ينبغي أن يتعايشوا معهم ويعيشوا واقعهم؛ لأن ذلك يعطيهم الأمن والشعور بالقبول وفي ذلك مجال لنمو حياتهم الاجتماعية والرسول ﷺ ضرب لنا أمثلة رائعة في ذلك مثل:

إلقاء السلام على الصبيان، فالسلام تحية الإسلام ومفتاح المحبة والقبول بين الناس سواء ألقيته على من عرفته أم لم تعرفه، وهي سنة تربوية عظيمة للأطفال خاصة.

فإنه ﷺ كثيراً ما يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم، ويمسح على رؤوسهم، ويدعو لهم، ويخصهم بالأسئلة والحديث، فعَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّه عَنْه، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ[1].

---

(١) أخرجه البخاري، الأدب المفرد (الجبيل: دار الصديق، ١٤٢١هـ) ص٣٧٥، رقم ٤٧٧.

وكان ﷺ إذا مر بالأولاد وهم يلعبون ألقى عليهم السلام، ووقف ينظر إليهم، وكان يخاطب الصغير منهم بما يثير اهتمامه منهم فيقول سائلاً الطفل عن عصفوره الخاص: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**»(١).

وكان ﷺ يصطحب معه إلى المسجد الحسن أو الحسين لحضور الصلاة جماعة، فلقد أخرج الإمام أحمد في مسنده، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلاتَيِ الْعَشِيِّ الظُّهْرِ أَوِ الْعَصْرِ وَهُوَ حَامِلٌ الْحَسَنَ أَوِ الْحُسَيْنَ، فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِهِ (في وسط الصلاة) سَجْدَةً أَطَالَهَا، فَقَالَ: إِنِّي رَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ فِي سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلاةَ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلاتِكَ هَذِهِ سَجْدَةً قَدْ أَطَلْتَهَا فَظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ قَدْ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ: «**فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي** - أي جعل ظهري مطية للركوب- **فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ**».

كل هذه المواقف التربوية النبوية لنا فيها أسوة حسنة في تربيتنا لأبنائنا؛ لأن مرحلة الطفولة مرحلة إعداد وتدريب الطفل بالدور المطلوب منه في الحياة، فهي أطول مرحلة من مراحل الإنسان، ومن هنا كانت حاجته

---

(١) أخرجه البخاري.

شديدة لملازمة والديه، فينبغي لوالديه التأسي برسول الله ﷺ وتطبيق سنته، وبالتالي سيتأسى بها الطفل ويتمثلها في حياته.

٢- التربية بالموعظة:

في النفس استعداد للتأثر بما يلقى إليها من كلام، وهو استعداد مؤقت في الغالب، وذلك يلزمه التكرار.. والموعظة المؤثرة تفتح طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان، تهزه هزًا، وتثير كوامنه لحظة من الوقت، لذلك لا تكفي الموعظة وحدها في التربية إذا لم يكن بجانبها القدوة والوسط الذي يسمح بتقليد القدوة وتشجيع على الأسوة بها؛ وحين توجد القدوة الصحيحة فإن الموعظة تكون ذات أثر بالغ في النفس، وتصبح دافعاً من أعظم الدوافع في تربية النفوس؛ ثم إنها من جانب آخر ضرورة لازمة، ففي النفس دوافع فطرية في حاجة دائمة إلى التوجيه والتهذيب، ولابد في هذا من موعظة، فقد لا يسرق الوالد ولا الأم ولكن الطفل يجنح إلى السرقة بدافع من دوافع الأطفال حينئذ لابد من الموعظة، موعظة لطيفة خفيفة مؤثرة ترد الطفل إلى صوابه، وتعوده على مكارم الأخلاق.

والإنسان الكبير كالطفل الصغير في حاجة دائمة إلى المواعظ، فقد يعدل الحاكم ويظلم المحكومون مدفوعين بما ركب في طبيعة الإنسان من ضعف واتباع للشهوات، فلابد من الموعظة[1].

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ١/١٨٧.

والقرآن الكريم مليء بالمواعظ والتوجيهات، وهو موعظة للمتقين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾ (النساء:٥٨). ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣).

فإن كثرة الكلام في كثير من الأحيان لا تؤتي أكلها في حين نجد الموعظة الحسنة تثمر ... ولقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم، هذا من فعل النبي ﷺ، فعَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ، رضي الله عنه، يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: «يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا (أي يتعهدنا) بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»[1].

من هذا نجد اهتمام الرسول ﷺ بتربية الأولاد تربية إسلامية صحيحة والأنبياء من قبله، فقد كان المرسلون، عليهم السلام، يوصون أولادهم بتقوى الله وتوحيده، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة:١٣٢)؛

---

(١) أخرجه البخاري.

ووصيته سبحانه قديمة ما زال يوصي بها عباده حتى يرث الأرض ومن عليها.

وقد كان جانب العقيدة من أهم الجوانب التي اعتنى بها رسول الله ﷺ وغرسها في نفوس الناشئة منذ صغرهم، لأن ذلك أدعى لسلامة الفطرة ولأن التوحيد هو الغاية من البعثة، فقد ظل ثلاثة عشر عاماً يدعو إليه، وذلك واضح في تلقينه ﷺ للغلام ابن عباس، رضي الله عنهما، مبادئ العقيدة الصحيحة كما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(١).

إن هذا الحديث عظيم، فيه فوائد كثيرة ومسائل مهمة في العقيدة والسلوك والأخلاق والآداب وغيرها، قال الإمام ابن رجب، رحمه الله: وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين حتى قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش لما فيه من

---

(١) سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب صفة القيامة؛ وانظر محمد الألباني، صحيح الجامع الصغير (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ) ج٥.

الفوائد الجمة التي فيها: اهتمام النبي بتوجيه أمته وتنشئتها على العقيدة السليمة والأخلاق الفاضلة، فنلاحظ أنه حين ركب الغلام الصغير مع النبي ﷺ لقنه كلمات قليلة الألفاظ كبيرة المعنى لها نتائجها في الدنيا والآخرة، وهذا الاهتمام بالجيل ينبغي أن يكون سمة جميع المربين من آباء ومعلمين، وهذا الأسلوب الهادئ الجميل أسلوب التعليم الحسن منه ﷺ بمناداة الغلام ليلفت انتباهه ويستجمع ذهنه ويشوقه إلى ما سيقوله من فوائد سيستفيد منها في بضع كلمات (**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**) احفظ حدوده، المحافظة على الصلاة، المحافظة على الطهارة لأنها شرط لصحة الصلاة، حفظ الحواس، ومن ثم حفظ الله للإنسان في صغره وصباه وشبابه وحال ضعفه وقوته ومرضه وصحته، وحفظه لدينه، وحفظه عند موته من الزيغ والهلاك فيتوفاه على شهادة الحق، وحفظه بعد موته في القبر والحشر وفي الدار الآخرة فما أحوج الإنسان في ذلك اليوم إلى حفظ الله ورعايته لينجو من أهوال ذلك اليوم.

يقول ابن رجب، رحمه الله: «يعني أن العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه فقد تعرف بذلك إلى الله وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة فعرفه ربه في الشدة؛ ومعرفة العبد لربه نوعان: معرفة عامة وهي علم بعباده واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه. ومعرفة خاصة وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبه إليه وإجابة دعائه.

وأنه ينبغي للمؤمن ألا يسأل أحداً إلا الله فهو قريب مجيب، وألا يستعين إلا به سبحانه، وإن كل شيء يحصل في هذه الحياة وما يصيب الإنسان من خير أو شر إنما هو بتقدير الله، سواء رضي العبد بذلك أم لم يرضَ، فعلى المؤمن أن يؤمن بذلك تمام الإيمان ليتحقق الركن السادس من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر خيره وشره[1].

فلنا في رسول الله ﷺ وصحابته أسوة حسنة في توجيهه للناشئة التوجيه الصحيح وموعظتهم الموعظة الحسنة، فقد كانوا هؤلاء الناشئة على قدر كبير من الحرص على العلم والأخذ عنه ﷺ وحفلت السنة النبوية بالعديد من المواقف التعليمية التي يخص فيها ﷺ هؤلاء بوصية أو موعظة أو تعليم حكمة، ومن ذلك تعليمه لمعاذ، رضي الله عنه، عندما سأله عن أعظم المسائل في التوحيد فيقول، رضي الله عنه: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ **يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»**[2].

---

(١) فالح الصغير، احفظ الله يحفظك: رواية ودراية (الرياض: دار ابن الأثير، ١٤٢٢هـ) ص٥.

(٢) أخرجه البخاري.

ويوصي ﷺ عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، وصية بالغة عظيمة يرويها بنفسه: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»[1].

والسنة النبوية مليئة حافلة بالأحاديث التي تشير إلى موعظة الأبناء الناشئة والتي كان لها أكبر الأثر في تنشئتهم التنشئة الإسلامية الحقة، فقد تشربها أطفال الصحابة، رضوان الله عليهم، وأبناء السلف الصالح، فينبغي لكل مربٍ أن يؤصلها في أبنائه لينتهجوا نهج ناشئة السلف من الاقتباس بسنة النبي ﷺ: فمن مواعظه ﷺ وتوجيهاته للناشئة:

روى الإمام أحمد مختصراً والطبراني واللفظ له عن عبد الله بن أبي أوفى، رضي الله عنهما، قال: «كنا عند النبي ﷺ فأتاه آت فقال: شاب يجود بنفسه قيل له: قل: لا إله إلا الله، فلم يستطع، فقال: **أكان يصلي؟** فقال: نعم، فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له: **قل لا إله إلا الله**، فقال: لا أستطيع، قال: لم؟ قيل: كان يعق والدته، فقال ﷺ: **أحية والدته؟** قالوا: نعم، فقال لها: **أرأيت لو أججت ناراً ضخمة فقيل لك: إن شفعت له خلينا عنه وإلا أحرقناه بهذه النار أكنتِ تشفعين له؟** قالت: يا رسول الله، إذن أشفع، قال: **فاشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه**، قالت: اللهم إني أُشهدك وأُشهد رسولك أني قد رضيت عن

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم (٦٤١٦) ص١١٤.

ابني، فقال له رسول الله ﷺ: **يا غلام، قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**، فقال: فقال رسول الله ﷺ: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**».

فهذا الحديث يعطي موعظة ودروساً في وجوب بر الوالدين وطاعتهما؛ لأنها مقرونة بطاعة الله عز وجل، وأن الإخلاص في برهما ينجي صاحبه من النار ومن الظلمات.

وكما اعتنى ﷺ بتوجيه الأبناء لبر آبائهم كذلك دعا الآباء للاهتمام بأبنائهم والدعاء لهم وتوجيههم، فبدلاً من أن يكون الأب سبباً في إفساد الطفل بالدعاء عليه ليكن سبباً في صلاح الطفل فيدعو له كما فعل الرسول ﷺ حينما دعا للأطفال فبارك الله في مستقبلهم بالعلم والولد والمال، فقد أخرج البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنه، قَالَ: ضَمَّنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ**»، وفي رواية «**عَلِّمْهُ الْكِتَابَ**»، وبفضل دعوة رسول الله ﷺ أصبح ابن عباس في كبره حبر الأمة وترجمان القرآن.

٣- التربية بالعقوبة:

حين لا تفلح القدوة ولا تفلح الموعظة فلابد إذن من علاج حاسم يضع الأمور في وضعها الصحيح؛ والعلاج الحاسم هو العقوبة؛ والتربية بالعقوبة يكملها ويقابلها التربية بالمثوبة؛ وبعض اتجاهات التربية الحديثة تنفر من العقوبة ولكن الجيل الذي أريد له أن يتربى بلا عقوبة جيل منفك منحل.

إن العقوبة ليست ضرورة لكل شخص، فقد يستغني شخص بالقدوة وبالموعظة فلا يحتاج في حياته كلها إلى عقاب، والناس كلهم ليسوا سواء، فيهم من يحتاج إلى الشدة مرات أو مرات.

وليست العقوبة أول خاطر يخطر على قلب المربي، فالموعظة هي المقدَّمة، والصبر الطويل على انحراف النفوس لعلها تستجيب، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ (المزمل: ١٠).

والتربية الرقيقة الحانية كثيراً ما تفلح في تربية الأطفال، ولكن التربية التي تزيد من الرقة واللطف تضر ضرراً بالغاً؛ لأنها تنشئ كياناً ليس له قوام.

ومن هنا كان لابد من (شيء) من الحزم في تربية الأطفال، لصالحهم هم أنفسهم قبل صالح الآخرين، ومن الحزم استخدام العقوبة أو التهديد باستخدامها في بعض الأحيان.

والإسلام يتبع جميع وسائل التربية فلا يترك منفذاً في النفس لا يصل إليه، إنه يستخدم القدوة والموعظة والترغيب والثواب ولكنه كذلك يستخدم التخويف والترهيب بجميع درجاته، من أول التهديد إلى التنفيذ(١).

فهو مرة يهدد بعدم رضا الله، ومرة بغضب الله، ومرة بحد الله ورسوله، ومرة بعقاب الآخرة، ثم يهدد بالعقاب في الدنيا، ثم يوقع العقاب،

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ١/١٩٢.

كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ (المائدة:٣٨) إن التربية إذا ظلت أوامر ونواهي مجردة بحتة أو وصايا تربوية كلامية دون أن تتجسد في نماذج سلوكية وأنماط عملية من السلوك التطبيقي فإنها تفقد معناها وتظل جوفاء وتعتبر التربية بها فاشلة أو أنها نظرية فلسفية تبقى حبراً على ورق.

ولكن التربية النبوية وهي تستقي مناهجها وطرائقها فإنما تتبنى مبدأ العمل الإيجابي التنفيذي في سلوك المؤمن في نفسه ومع أعضاء مجتمعه، وهو واقع حينذاك لتوجيه عملي ميداني في حياة الناس من أخذ وعطاء وبيع وشراء ووعد ووفاء؛ من هذا المنطلق التربوي العملي نجد الرسول الكريم ﷺ رغم وظيفته التربوية فإنه يجسدها عملياً ليكون المحتسب الأول في المجتمع في مراقبة السلوك العام وتوجيهه، فها هو ﷺ يتجول في الأسواق فيمر على صبرة طعام فيدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، إنها مراقبة توجيهية لمواقف منحرفة تتجلى فيها عادات الغش في العرض والوزن فقال ﷺ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟»؛ إنه ليس سؤالاً استفهامياً بل هو سؤال إنكاري تعجبي فيه إنذار... فقال الرجل ملتمساً لما قد نظنه عذراً: «أصَابَتْهُ السَّمَاءُ» فقال ﷺ: «أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ» ليشتروه على بينة[1].

---

(١) عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، ط١ (الرياض: دار الهدى، ١٤٠٥هـ) ١٤٠١/٢.

بعد هذه الحادثة العملية يضع الرسول ﷺ المبدأ التوجيهي الأساس في سلوك المؤمن ونطاق المعاملة فيقول ﷺ: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»[1]، وفي رواية: «من غشنا فليس منا»؛ والعبرة هنا بعموم القاعدة التربوية لمكافحة كل أنواع الغش في أي مجال من مجالات الحياة، فينبغي للمربي أن يربي أبناءه على عدم الغش في جميع الأحوال؛ ويغرس فيهم منهج النبي ﷺ في ذلك، فهذا الموقف رأينا فيه إصلاحاً عملياً لمفهوم نفسي واجتماعي خاطئ يُعاقب من اتخذه وسيلةً.

ويرى كثير من المربين أن العقوبة البدنية تولد القسوة والوحشية عند الطفل وهو ما تتفق معه التربية الإسلامية، وبإمعان النظر في أساليب التربية الإسلامية يلاحظ أنها تحض على التوجيه وعلى اللين وعلى استخدام العقاب المناسب في بعض الأحيان (كالحرمان من اللعب) على أن يكون هذا العقاب بقدر معقول بحيث يؤدي إلى تجنب السلوك السيء مع استخدام التعزيز والتشجيع للسلوك الطيب، أما إذا كان الإخلال بحق من حقوق الله تعالى على الأبناء فلا يتهاون في ذلك معهم، وإنما يعاقبون العقاب المناسب كما حث الرسول ﷺ على ذلك عندما أمر بتعليم الأطفال الصلاة وأمرهم بها وهم أبناء سبع سنوات والضرب عليها وهم أبناء عشر، لأن هذه عبادة تصل الطفل بربه، وتفعل في نفسه فعلاً عجيباً، وتهدئ من ثوراته النفسية وتجعله سوياً مستقيماً.. وبالرغم من أنه ﷺ يأمر بضرب من تركها وعمره

(١) أخرجه مسلم، باب الإيمان.

عشر سنوات إلا أنه يبشر الذين نشؤوا على عبادة الله بإقامة الصلاة بـبشارة عظيمة، روى الطبراني عن أبي أمامة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ناشيء ينشأ في العبادة حتى يدركه الموت إلا أعطاه الله أجر تسعة وتسعين صدِّيقاً»، وروى ابن عبد البر في التمهيد بسنده أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: «تكتب للصبي حسناته ولا تكتب عليه سيئاته».

لقد أمر الرسول ﷺ الوالدين والمربين بتعليم أبنائهم أركان الصلاة وواجباتها ومفسداتها وحدد سن السابعة بداية المرحلة للتعليم، فقد روى أبوداود أن النبي ﷺ قَالَ: «مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، وَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا».

والرسول ﷺ يباشر بنفسه تعليم الأطفال ما يحتاجونه في الصلاة ويصحح أخطاءهم وذلك واضح عندما قال الحسن بن علي، رضي الله عنهما: علمني رسول الله كلمات أقولهن في الوتر.

وكان ﷺ قبل كل صلاة يصفّ الأطفال في الصف الأخير، روى مسلم عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاةِ، وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».. كما كان ﷺ يوجه نداءً للأطفال بعدم الالتفات يمنة ويسرة أثناء الصلاة، فعن أنس، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالالْتِفَاتَ فِي الصَّلاةِ فَإِنَّ الالْتِفَاتَ فِي الصَّلاةِ هَلَكَةٌ »[1].

---

(١) أبو عيسى الترمذي، جامع الترمذي، حديث رقم ٥٨٩ في الصلاة، ص١٥٣.

وكما علمهم الصلاة في سن معينة فقد أمر بمعاقبة من قصر في صلاته أو تهاون وتكاسل في أدائها في سن العاشرة، فإنه يجوز للوالدين استخدام الضرب تأديباً للولد على ما فرط في حق نفسه وعلى ظلمه لها باتباع سبيل الشيطان؛ لأن الأصل في هذه المرحلة أن ينصاع إلى أمر الله حيث ما زال في المرحلة الفطرية والشيطان ما زال تأثيره ضعيفاً، فعدم صلاته دليل على تمكن الشيطان منه شيئاً فشيئاً، فلذلك هو بحاجة إلى العلاج النبوي وهو الضرب.

ولا بأس من إفهام الطفل سبب الضرب بتلاوة حديث رسول الله ﷺ: عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»**(١).

ويعلق الشيخ ولي الله الدهلوي على الحديث فيقول: «بلوغ الصبي على وجهين: بلوغ صلاحية السقم والصحة النفسانيتين ويتحقق بالعقل فقط، وأمارة ظهور العقل سبع، فابن سبع ينتقل فيها لا محالة من حالة إلى حالة انتقالاً ظاهراً، وأمارة تمامه العشر، فابن العشر عند سلامة المزاج يكون عاقلاً يعرف نفعه من ضرره ويحذق في التجارة وما يشبهها، وأن يصير من الرجال الذين يعانون المكايد ويعتمد على تمام العقل وتمام الجثة وذلك بخمس عشرة سنة في الأكثر، والصلاة لها اعتباران: فباعتبار كونها وسيلة فيما بينه وبين

---

(١) الإمام أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، ط١ (الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ) رقم ٤٩٥، كتاب الصلاة.

مولاه منقذه من التردي في أسفل السافلين أمر بها عند البلوغ الأول، وباعتبار كونها من شعائر الإسلام يؤاخذون بها ويجبرون عليها أشاؤوا أم أبوا، حكمها حكم سائر الأمور، ولما كان سن العشر برزخاً بين الحدين جامعاً بين الجهتين جعل له نصيباً منهما»(١).

ويستفاد من هذا الحديث أن الضرب للطفل لأجل تعويده الصلاة لا يصح قبل العاشرة، ومن توجيه النبي ﷺ يشعر الطفل هيبة الأسرة وإمكانية عقاب المخطئ، فقد ورد في الحديث الصحيح: «**عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهلُ البَيْتِ فإنَّهُ لَهمْ أَدَبٌ**»(٢). فإن رؤية السوط قد تغني عن استعماله لما فيه من إمكانية استعماله، وأما إمكانية نوعية العقاب فإنه ليس من الضروري إحداث الألم فيه.

والعقاب يجب أن يتناسب مع العمر، فليس من العدل عقابه في السنة الأولى وفي السنة الثانية، فإن تقطيب الوجه يكفي والطفل لا يدرك معنى العقاب بعد.

والخطأ الذي يحدث للمرة الأولى يحسن أن يخفف فيه العقاب إلا إذا وجد المربي أن الأصلح الردع لكبر الخطأ منعاً لمعاودته فلا مانع من استعمال العقوبة الأشد لئلا يستهين بالذنب، وإذا وقع العقاب للطفل من أحد

---

(١) الدهلوي، حجة الله البالغة، ١/١٨٦.

(٢) أخرج الطبراني في الكبير عن ابن عباس، رضي الله عنهما، انظر كذلك الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط١(الكويت: الدار السلفية، ١٣٩٩هـ) حديث رقم ١٤٤٧، ٣/٤٣٢.

الأبوين فالواجب أن يوافقه الآخر وإلا فلا فائدة من العقاب مع إشعار الطفل أن العقاب ليس للتشفي وإنما لمصلحته؛ وإن شعور الطفل بخلاف ذلك قد يحدث انحرافاً معيناً في نفسه وهو أن يتعمد إثارة والديه ليستمتع أثناء ثورتهما عليه؛ لأنه استطاع أن يثير الكبار ويزعجهم وهو صغير، وعندئذ تكون الخسارة مزدوجة فلا العقوبة أدت غرضها في الإصلاح وزاد في الطفل انحراف جديد هو تحقيق الذات عن طريق غير سوي.

ويجب تأكيد أن العقاب يجب أن يتلو الذنب مباشرة، وألا يكون من الخفة بحيث لا يجدي أو الشدة بحيث يشعر بالظلم أو يجرح الكبرياء؛ وأن تربية الطفل لا يصلح لها إلا ضبط الأعصاب مع التحمل المستمر لحركات الطفل وتصرفاته غير المتزنة، وهذا ما يراه الوالدان من أشق أنواع التحمل في شؤون الأسرة ولكنه من أهم الضرورات لإصلاح تربية الطفل.

فإذا لم يُصلح الطفلَ التصحيحُ الفكري والعملي وأصر على ارتكاب الخطأ كان التأديب حقاً لازماً عليه، ويتبع معه خطوات عقابية تبدأ بتعليق السوط، كما ذكرنا آنفاً، ليخاف منه الطفل؛ لأنه بمجرد رؤيته له سيرتدع ويسارع إلى التصحيح ويتقوم سلوكه، وإذا لم يُجدِ تعليق السوط فيبدأ المربي بأول عقوبة جسدية وهي شد الأذن؛ لأن هذه العقوبة سيتعرف من خلالها على ألم المخالفة وعذاب الفعل السيء الذي ارتكبه واستحق عليه ذلك، فقد أورد النووي في الأذكار قال: روينا في كتاب ابن السني عن عبد الله بن بسر المازني الصحابي، رضي الله عنه، قال: بعثتني أمي إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه، فلما جئت أخذ بأذني وقال: «يا غُدر».

وعلى الوالدين عندما يضربان الطفل ويؤدبانه وهو يتألم فإذا استجار بالله تعالى فعليهما أن يقفا عن الضرب؛ لأن هذا الطفل وصل إلى القناعة بخطئه والرجوع عنه وفوق ذلك لجأ إلى الاحتماء بالله عز وجل، ومراعاة احتمائه بالله عز وجل لها آثار طيبة ومباركة في نفسه[1].

وإذا لم ينفع مع الطفل رؤية العصا، كما ذكرنا، سابقاً ولا شد الأذن فإن المرحلة التالية تكون قادرة على تأديبه ونزوح الشيطان من رأسه، فالضرب يعتبر المرحلة الثالثة من مراحل التأديب والعقوبة.

فالتأديب للأولاد من أوجب الأمور على المربي؛ لأن ذلك سنَّة النبي ﷺ في كثير من المواقف التربوية، من ذلك: عن محمد بن زياد، قال: سمعت أبا هريرة، رضي الله عنه، قال: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، رَضِي اللَّه عَنهمَا، تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَة فَجَعَلَهَا فِي فيه، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كِخْ.. كِخْ**، لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: **أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**»[2]، وفي رواية لمسلم: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**»[3].

ففي هذا الحديث أهمية تأديب الأولاد بما ينفعهم ومنعهم مما يضرهم ومن تناول المحرمات، وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا على ذلك[4].

---

(١) خالد العك، تربية الأبناء والبنات، مرجع سابق، ص١٣٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة، رقم ١٤٩١.
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) ابن حجر، فتح الباري، ٣/٣٥٥.

وقال النووي، رحمه الله[1]: وقوله ﷺ: «كِخْ... كِخْ» يقال بإسكان الخاء ويقال بكسرها مع التنوين، وهي كلمة زجر للصبي عن المستقذرات وكان الحسن، رضي الله عنه، صبياً. وفي هذا الحديث زيادة لطيفة وهي طريقة الزجر بهذه الكلمة «كِخْ، كِخْ» ثم ما لبث رسول الله ﷺ أن علل لهذا الطفل سبب عدم الأكل وعدم حله له، لتكون له قاعدة فكرية عامة في حياته كلها «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ» وذلك بصيغة رائعة: «أَمَا عَلِمْتَ»؟! وذلك ليكون وقعها على نفسه أقوى تأثيراً.

ولكن ذلك الضرب ينبغي أن يكون بضوابط معينة وهي أن يبتدأ بضربه بسن العاشرة كما أوردنا حديث الرسول ﷺ آنفاً لأن ما قبل سن العاشرة من المفترض أن يتحلى المربي بالصبر والحلم؛ لأن الضرب لن يجدي مع ذلك الطفل.

ونستطيع أن نورد هنا لفتة تربوية رائعة في تقرير سن الضرب، فقد قال إسماعيل بن سعيد: سألت الإمام أحمد بن حنبل عما يجوز فيه ضرب الصبي على الصلاة، قال: إذا بلغ عشراً، وقال: إن أبا عبد الله قال: اليتيم يؤدب ويضرب ضرباً خفيفاً.

---

(١) الإمام النووي، رياض الصالحين، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ) ص١٢٥.

وقال الأثرم: سئل أبو عبد الله عن ضرب المعلم الصبيان فقال: على قدر ذنوبهم، ويتوقى بجهده الضرب، وإن كان صغيراً لا يعقل فلا يضربه[1].

فالعملية التربوية الهدف منها التأديب وليس العقاب الانتقامي، لذلك يجب على المربين الاعتدال فيه واستخدام العقل عند اللجوء إليه، فإن كثرة الضرب وشدته قد تؤذي الطفل فضلاً عن أنها تقلل من هيبة المربي والضرب نفسه.

كذلك يجب أن يكون عدد الضربات محددًا فلا يترك لنفسه العنان ويضرب ما يشاء، إنما لا يزيد عن عشر ضربات وذلك اقتداء بما أخرجه البخاري عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ يَقُولُ: «**لا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلَدَاتٍ إلا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ**». وكذلك يجب أن تكون أداة الضرب بين اللين والشدة والغلظة والرقة.

وقد لخص الشيخ الفقيه شمس الدين الأنباري مواصفات أداة تأديب الأطفال فقال: «ويجب في السوط:

١- أن يكون معتدل الحجم فيكون بين القضيب والعصا.

٢- أن يكون معتدل الرطوبة فلا يكون رطباً لشق الجلد لثقله ولا شديد اليبوسة فلا يؤلم لخفته».

ولخص الشيخ الفقيه شمس الدين الأنباري طريقة ضرب تأديب الطفل في (كتابه رسالة الصبيان):

---

(١) عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ) ٤٧٧/١.

١- أن يكون مفرقاً لا مجموعاً في محل واحد.

٢- أن يكون بين الضربتين زمن يخف به ألم الأول.

٣- أن يرفع ذراعه لينتقل السوط لأعضده حتى يرى بياض إبطه فلا يرفعه لئلا يعظم ألمه[١].

كل هذه الضوابط لكي تعطي العملية التربوية ثمارها في التأديب ويرتقي فيها الطفل إلى الأعلى، وعلى المربي حين يضرب الطفل يجب أن يبتعد عن الوجه، وألا يضرب وهو غضبان؛ لأن الغضب سيقوده إلى استخدام الألفاظ السيئة ويضربه ضرباً يؤثر عليه.

فالعقاب البدني ليس هدفاً في حد ذاته أو وسيلة دائمة للتأديب بل علاجاً لمشكلة، ولهذا يجب تشخيص الخطأ وأسبابه قبل الإقدام عليه، وهذا ما يقوله عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: «وتهددهم بي، وأدبهم دوني، كن لهم كالطبيب الذي لا يعمل بالدواء حتى يعرف الداء».

وإنه لمن الحكمة ألا نوقع عقوبة الضرب إلا بعد استنفاد الوسائل الأخرى في تعديل السلوك، وأن نتدرج في أسلوب العلاج حتى نصل إلى الضرب.

والخلاصة في هذا، كما يقول المربي الدكتور مصطفى السباعي في كتابه «هكذا علمتني الحياة»: «اسلك في تربية ولدك طريق الترغيب قبل الترهيب، والموعظة قبل التأنيب، والتأديب قبل الضرب، وآخر الدواء الكي،

---

(١) التربية في الإسلام، مرجع سابق، ص١٣٥.

ولا تستعمل الضرب إلا حين تحقق الموعظة والتأنيب، ولكن ضربك له ضرب تربية لا ضرب انتقام، وتجنب ضربه وأنت شديد الغضب، واحذر موطن الأذى في جسمه، وأشعره وأنت تضربه أنك لا تزال تحبه، وقلل ما استطعت من استعمال الضرب وسيلة للتأديب، ولأن يهابك ويحبك خير من أن يخافك ويكرهك»[1].

٤- التربية بالقصة:

تعد القصة من وسائل التربية، التي لها دور كبير في شد انتباه الطفل ويقظته، وتحتل المركز الأول في الوسائل الفكرية المؤثرة في عقل الطفل لما لها من متعة وتأثير، وهي مادة حية يتسلى بها الأطفال، وتعد أفضل أسلوب لتثبيت المعاني لديهم بعيداً عن الأمر والنهي والوعظ المباشر، ومفيدة جداً في إخراج الطفل من إيحاءات البيئة المحلية المحددة إلى بيئة أرحب وأفضل تتمثل فيها المبادئ الأخلاقية وتمكن من إدراك الأمور العقلية المجردة مثل الإيمان والحب والإخلاص، حيث إن القصة بما فيها من أشخاص وأحداث تساعد على تقريب تلك المعاني بصورة مجسدة حية وتجعل الطفل يتشرب الأخلاق والمفاهيم والعادات، التي تجعل منه إنسانًا صالحاً ناجحاً.

لذا فإن كل الحكايات التي نحكيها له يجب أن تستهدف هذين المعنيين، قصص الأنبياء وقصص أبطال الإسلام؛ لأن القصة سلاح فعال فعلينا أن نعرف متى نستخدمه وكيف نستخدمه.

---

(١) عزت خليفة، تربية الأولاد كيف نجعلها متعة (الخبر: دار الذخائر، ١٤٢٢هـ) ص٧٧.

ويجب أن نذكر القصص المبسطة التي وردت في كتاب الله: كقصة آدم، عليه السلام، وتبيان الغاية من خلق الناس جميعاً وخروجهم من الجنة بسبب طاعة آدم لوسوسة الشيطان فهو عدونا اللدود.

وقصة إبراهيم، عليه السلام، وقصة أصحاب الفيل.. وقصة سليمان، عليه السلام، والهدهد ففيها إغراء جميل وإثراء لخيالهم مع التركيز على عبادة الله فهو القادر الذي ينطق الطير ويُفهِّم من يشاء لغة الطير والنمل.

وكذلك يمكن أن يستفيد الأطفال من قصة النفر الثلاثة، الذين آواهم الغار وأطبقت عليهم الصخرة وكيف أزيحت عن باب الغار بسبب أعمالهم الصالحة التي دعوا الله بها وتوسلوا إليه بسببها؛ وهذه القصص النبوية والتاريخية اعتمدت على حقائق ثابتة بعيدة عن الخرافات والأساطير، فهي قصص تبعث في نفس الطفل الثقة بهذا التاريخ وتعطيه اندفاعاً وانطلاقاً وتبني فيه شعورًا إسلامياً وإحساساً عميقاً؛ فأخبار الأنبياء والصالحين والعلماء من خير الوسائل التي تغرس الفضائل في النفوس وتبعث إلى التأسي بهم، وشاهد ذلك قوله الله عز وجل: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ (هود: ١٢٠).

قال الإمام أبو حنيفة: «الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم»[١].

---

(١) محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص٣٠٤.

فالقصة لها أهمية كبيرة في قوة التأثير واستمرار الأثر إذا ما قورنت بالكلام العادي؛ لأنها كما ذكرنا تمثل الحياة بكل معانيها من نشاط وحركة وانفعال ومواقف.

والإنسان يميل بفطرته إلى سماع القصة أو قراءتها أو روايتها. فنلاحظ أن الأطفال يحبون أن يسرد عليهم والدهم أو والدتهم أو جدتهم القصص، فهم يتلهفون لسماع القصة ويبدوا عليهم الانفعال وتظهر على وجوههم التعبيرات وهم يسمعون حوادث القصة وما جرى لأبطالها.

ويمتد تأثير القصة إلى تقليد أبطالها؛ لأن القصة لها أثر في نفوس الصغار أكثر من نفوس الكبار، فالصغير يجد نفسه بطلاً في القصة التي تدور حولها الأحداث فينبغي أن يكون أبطال القصة يمثلون الإيمان بالله أو الخلق النبيل، وتكون القصة ذات أثر بعيد وواضح من مجرد تقديم الوصايا والحكم؛ لأن الطفل يدرك المحسوس الذي يباشره بالعين أو الأذن أو اليد أو الأنف، وهو بحاجة إلى فهم أمور عقلية مجردة في طفولته سواء المتأخرة أو المتوسطة مثل التعاون والمحبة والإخلاص والصدق إلى غيرها، فهي أفكار مجردة تساعد القصة بما فيها من أشخاص وأحداث على تقريب تلك المعاني والأفكار بصورة حية مجسدة.

والسنة النبوية مليئة بالقصص التربوية الهادفة، التي يقتبس منها الطفل ويتشرب كثيراً من المعاني والأخلاق العظيمة في حياته، فمما روي عَنْ السيدة عَائِشَةَ، رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا

فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاثَ تَمَرَات، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَة مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ»**[1]، وذلك بسبب رحمتها ورأفتها.

فهذه القصة فيها دليل على كرم السيدة عائشة، رضي الله عنها، على قلة ما لديها، وحكمتها في إعطاء ثلاث تمرات لثلاثة أفراد؛ وعدالة الأم في القسمة وتقديم ابنتيها على نفسها، وإيثارها بنصيبها رغم حاجتها، والدقة في عدالة التوزيع، واستحسان الرسول ﷺ لما جرى، والنتيجة بتبشيره لها برضا الله والجنة[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِي اللَّه عَنْه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ،** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا، قَالَ: **«فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»**[3].

في هذه القصة فوائد عظيمة يستفيد منها الصغير والكبير، فقد ورد في شرح صحيح البخاري أن الله أثنى على الرجل وقبل عمله وجازاه بفعله بدخوله الجنة.

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم ٦٦٩٤، ص١١٤٦.
(٢) عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي المربي، مرجع سابق، ص٢٥٨.
(٣) صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم ٦٠٠٩، ص١٠٥١.

فهذه قصة نبوية تربوية يتربى من خلالها الأطفال على حب الخير والمجازاة عليه، ففي سقي البهائم والإحسان إليهم أجر كبير، وفي كل كبد رطبة أجر وإحسان لعموم الناس؛ لأنه إذا حصلت المغفرة بسبب سقي الكلب فسقي المسلم أعظم أجراً.

وبالمقابل لقصة الرجل الذي سقى الكلب قصه المرأة مع القطة، التي لم تطعمها و لم تتركها تأكل من فضلات الأرض حتى ماتت فدخلت بسببها النار، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِي اللَّه عَنْه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**عُذِّبَت امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ**، قَالَ: فَقَالَ: **وَاللَّهُ أَعْلَمُ، لا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا وَلا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**»[١].

في سرد هذه القصة مواقف تربوية رائعة من عدم إيذاء الحيوانات ووجوب الرأفة بها والإحسان إليها، فكما دخل الرجل الجنة بسبب الإحسان إلى الكلب فكذلك دخلت المرأة النار بسبب الهرة، التي حبستها لم تطعمها و لم تدعها تأكل من خشاش الأرض، والرسول ﷺ يشير إلى الرأفة بالحيوان وعدم إيذائه والإحسان إليه، لذلك فمن الأولى الإحسان إلى الناس وعدم إيذائهم والرفق فيهم.

وللطفل اليوم، فيما قصّه له الرسول ﷺ عن طفولة المؤمنين وتضحيتهم لدين الله أسوة حسنة، ولما بذله أطفال الصحابة قدوة يسير فيها على درب الإيمان، لا يخاف في الله لومة لائم، وكذلك في قصة غلام الأخدود قدوة للأطفال.

---

(١) أخرجه البخاري.

فقد روى مسلم عَنْ صُهَيْب، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِك: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ؛ فَبَعَثَ إِلَيْه غُلامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقه إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْه وَسَمِعَ كَلامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِب وَقَعَدَ إِلَيْه فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلكَ إِلَى الرَّاهِب، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّة عَظِيمَة قَدْ حَبَسَت النَّاسَ فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ، فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذه الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاء، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِك كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَة فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّه دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ؛ فَآمَنَ بِاللَّه فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْه كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلامِ فَجِيءَ بِالْغُلامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: ... إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَعَا

بِالْمِنْشَارِ فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي.. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ

فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلامُ: يَا أُمَّهِ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»[1].

قصة تربوية نبوية رائعة، تربي الطفل على الثبات على العقيدة والتضحية من أجلها، والصدق والاستقامة والجرأة في الحق، والتضرع إلى الله ودعائه، وأنه هو القادر على كل شيء.

فالطفل المسلم اليوم في مواجهته للتحديات المعاصرة الكثيرة والخطط والمؤامرات والدراسات التي تُدبر ضده كي تحرفه عن دين الله ومنهجه فهو في مقابل ذلك يحتاج إلى التضحية في سبيل الله والثبات على منهجه، فعند ذلك يتذوق حلاوة الإيمان.

والقرآن يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه، التي يشملها منهجه التربوي: تربية الروح وتربية العقل وتربية الجسم، وهو يستخدم كل أنواع القصة: القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها؛ والقصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية؛ والقصة التمثيلية التي لا تمثل واقعة بذاتها ولكنها يمكن أن تقع في أي لحظة من اللحظات وفي أي عصر من العصور.

فهناك قصص الأنبياء وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من جراء تكذيبهم، وهي قصص تذكر بأسماء أشخاصها وأماكنها وأحداثها على وجه التحديد والحصر كقصة موسى وفرعون وعيسى وبني إسرائيل وصالح وثمود ونوح وقومه.

---

(١) انظر محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص١٠٦.

كذلك قصة بني آدم فهي من أهم القصص التوجيهي في القرآن وهي قصة البشرية الأولى وقصة البشر كلهم على مدار التاريخ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠).

فقصة آدم، عليه السلام، في القرآن تعرض لنا لحظة الضعف البشري، الذي أصابه فنسي نفسه وعهده مع ربه وجنح إلى شهوة من شهواته فاستزله الشيطان، والقرآن يعرضها هكذا، ولكن الآداب الأوروبية بما فيها من انحراف تعرضها على أنها مفخرة لآدم وبطولة وهي آداب توحي للناس بعصيان ربهم والإغراق في الشهوات لكي يحققوا ذواتهم، كأنما الطريق الوحيد لإثبات الذات هو الشهوات والعصيان، وكأنما الطاعة لله هي انعدام الشخصية، فهذه النظرة فوق ما فيها من مرض وانحراف تعيش في مستوى الأطفال، فا' لمفل وحده هو الذي يظن أنه يثبت وجوده حين يعصي، ويلغي كيانه إذا أطـ ع، ولكنه حين يكبر وينضج حين يفهم الحياة وحقيقتها يعرف أن هناك طريقين لا طريقاً واحداً لإثبات الذات: طريق الطاعة وطريق العصيان، فهذه هي حقيقة البشرية على الأرض وهي الحقيقة التي ترمز لها قصة آدم في القرآن[١].

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ١٩٣/١.

وقصة عمير بن أبي وقاص، رضي الله عنه، الذي بكى بين يدي رسول الله ﷺ حتى يخبره في غزوة بدر وهو ابن ست عشرة سنة في هذه الغزوة، وغير ذلك من القصص التي تجعل الطفل يتعايش مع جو التضحية والبذل من أجل العقيدة.

٥- التربية بالترويح:

يحتاج الصغير إلى اللعب والمرح والترويح أكثر من حاجته إليها وهو كبير، ويميل الصغار في أول سنيّ عمرهم إلى اللعب بالألعاب المتنوعة، وهذه الألعاب من أحسن المجالات الترويحية التي يتعلم الطفل من خلالها، وهو وسيلة إلى الاكتشاف والمعرفة، وقد راعى النبي ﷺ هذه الحاجة عند الصغار، وقد بدأ ذلك جليًا في معاملته مع عائشة، رضي الله عنها، التي تزوجها وهي ابنة تسع سنين.

روت السيدة عَائِشَةَ، رَضِي اللَّه عَنْهَا، قَالَتْ: «كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَات عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ، فَيَلْعَبْنَ مَعِي»[1].

وروت أيضاً: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺمِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَوْ خَيْبَرَ، وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟ قَالَتْ: بَنَاتِي! وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ

---

(١) سنن أبي داود، مرجع سابق، رقم ٤٩٣١، ص٦٩٥.

رِقَاعٍ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ، قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟ قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ، قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلاً لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ»[1].

فيحسن بالوالدين توفير بعض الألعاب المنزلية ليحفظوا الأولاد عن الشارع وخاصة تلك الألعاب التي تعتمد على استثارة الذكاء وعلى إيجابية ممارسيها، وحبذا توفير مكان خاص للعب يستمتع فيه الأطفال، وحبذا مشاركتهم باللعب، والقص عليهم بعض القصص المسلية التي نتخذها طريقاً للتربية وكسب المعلومات.

ومما يحتاج إلى عناية فائقة من الأمة المسلمة عامة والأسرة خاصة مراقبة ألعاب الأطفال بحيث تغرز فيهم قيم الانتماء إلى الأمة والاعتزاز بالدين الحنيف، ومما يؤسف له أن الكثير من ألعاب الأطفال اليوم ليس من شأنها تعزيز الانتماء واحترام الشخصية الحضارية حتى في أبسط الأمور، فالدمية التي يلعب بها الطفل المسلم تصاغ على الهيئة الأوروبية، العيون الزرقاء والشعر الأصفر مما يرسخ في الطفل المسلم مشاعر الانبهار بهذا الأنموذج[2].

وقد أكدت السنة مبدأ الترويح في حياة المسلم، وأنه حق من حقوق الجسم، على الإنسان أن يأخذه بعين الاعتبار وهو يقطع مشوار حياته الدنيا، ويوجد العديد من الآثار التي تؤكد مراعاة الإسلام لمبدأ الترويح في

---

(١) أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب في اللعب بالبنات، رقم ٤٩٣٢، ص٦٩٥.

(٢) أحمد أبو سمك، التربية الترويحية في الإسلام: أحكامها وضوابطها الشرعية (الأردن: دار النفائس، ١٤٢٠هـ) ص١٥٢.

حياة المسلم، ومن ذلك الأثر الذي يروى عن النبي ﷺ وهو قوله: «رَوِّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بِسَاعَةٍ»[1]. لما للترويح من أهداف تربوية سامية منها:

١- تربية أفراد المجتمع المسلم على الجد.

٢- التودد إلى أفراد المجتمع المسلم وتحبيبهم في الإسلام.

٣- العمل على تحقيق الترابط الأسري وتقويته.

٤- إعداد الإنسان المؤمن القوي بدنياً ونفسياً واجتماعياً.

٥- إظهار الفسحة في الدين وإبراز محاسن الإسلام وسماحته وتيسيره وحرصه على مراعاة النفس وحاجاتها، ففي الحديث الذي أخرجه أحمد في المسند أن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ»[2].

٦- إزالة ما قد يعتري المسلم من هم وغم في هذه الحياة الدنيا.

ومما يؤكد خيرية الهدف من وراء مزاولة الترويح في عصر الصحابة أنه لم ينقل وقوع اختلاف أو تشاحن بينهم بعد أو في أثناء الممارسات الترويحية التي يقومون بها[3].

وكان الرسول ﷺ ينظم مسابقات بالأقدام بين الأطفال، ففي الحديث أن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُفُّ

---

(١) ضعفه الشيخ الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة، حديث رقم ٣٦٤٩، ٨/١٣٦.

(٢) المسند، أحمد بن حنبل، ٦/١١٦.

(٣) عبد الله السدحان، الترويح عن النفس (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ) ص٤٣.

عَبْدَ اللَّهِ وَعُبَيْدَ اللَّهِ وَكَثِيرًا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقَعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ فَيُقَبِّلُهُمْ وَيَلْزَمُهُمْ»[1].

فالأطفال في زمن النبي ﷺ كانوا يلعبون ألعابهم الصغيرة حسب إمكانياتهم، وكان الكبار بما فيهم رسول الله ﷺ وكبار الصحابة يشاركونهم أحياناً ويراقبونهم أحياناً أخرى، وكانت عائشة، رضي الله عنها، تحث الصحابة على أن يراعوا حاجات الأطفال أو النساء حيث تقول مخاطبة الصحابة: «فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو»[2].

إذن نرى أن الإسلام اتخذ منذ فجر ظهوره من الترويح موقفاً إيجابياً تربوياً، حيث دعا رسول الله ﷺ إلى التمتع بالنشاط الترويحي، يقول عليه الصلاة والسلام: «رَوِّحُوا الْقُلُوبَ سَاعَةً بِسَاعَةٍ».

والجانب الترويحي في حياة الرسول ﷺ مشرق ومضيء كبقية جوانب حياته، فقد كان متسابقاً ومتنافساً ومشرعاً وحكماً رياضياً.

فالترويح في الإسلام وسيلة اجتماعية تربوية، حيث يتجدد نشاط الطفل وحيويته، كما يتم إشباع حاجاته البدنية والنفسية والعقلية والروحية بما يتوافق مع العقيدة السمحة[3]، ولا يتم ذلك إلا بدور المنزل؛ والمنزل له آثاره التربوية الترويحية الخاصة به، فهو العامل الوحيد للحضانة والتربية

(١) مسند الإمام أحمد، ١/٢١٤.

(٢) خالد بن فهد العودة، الترويح التربوي رؤية إسلامية (الرياض: دار المسلم، ١٤١٤هـ) ص١٠٧.

(٣) عبد المجيد سيد أحمد منصور، توجيه وإرشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢١هـ) ص١٥٧.

المقصودة في المراحل الأولى للطفولة، ولا تستطيع أية مؤسسة عامة أن تسد مسد المنزل إلا تدارك الحالات التي يحرم فيها الطفل من الأسرة، فيكون دور الحضانة أو الكفالة التي تنشئها الدولة والهيئات لإيواء الأطفال.

وعلى المنزل يقع قسط كبير من واجب التربية في جميع مراحل الطفولة[1].

فيجب الاهتمام بالترويح التربوي الإسلامي، الذي اهتم به ﷺ خير مربٍّ للإنسان، لما يقدمه من خدمة مهمة وجليلة للتربية والتعليم في المجتمع الإسلامي عن طريق تنمية الأفراد ووقايته لهم من العديد من الأمراض، بل وعلاجه للعديد من المشكلات الفردية والاجتماعية.

فالأبناء اليوم وفي ظل هذه الأحداث الجارية التي تمر بها الأمة الإسلامية بأمس الحاجة إلى آباء عقلاء ومربين أمناء يدركون استغلال قوتهم في الخير، وإن لم تجد هذه القوى وتلك الطاقات عناية من الوالدين والمربين وتوجيهاً من الناصحين فإنها ستكون عامل هدم ومعول فساد في المجتمع، بحيث لا يؤويهم إلا الأرصفة والممرات والاستراحات والجلسات، وربما تكون تلك اللقاءات مدارس شيطانية لهم تعلمهم كل أنواع الشهوات والشبهات وكل بذيء من القول وقبيح من الفعل، فيصبحون في مرحلة الشباب، التي هي من أخطر المراحل في حياة الإنسان، فهي مرحلة قوة بين ضعفين،

---

(١) على عبد الواحد وافي، عوامل التربية: بحوث في علم الاجتماع التربوي والأخلاقي (دار نهضة مصر، بدون تاريخ) ص١٠.

ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، فلذا علينا أن نحرص على بناء الجوانب الشخصية لدى الأبناء بحيث تصبح شخصية متكاملة[1].

إذاً الدور الترويحي يعد من أهم أدوار الأسرة بالنسبة للطفولة، لأنه بطريق الأنشطة الترويحية يكتسب الطفل السلوك المقبول اجتماعيًا، كما يعرف السلوك غير المقبول، ويتعلم أيضاً: متى يلعب وكيف ومع من وكيف يرجئ رغباته وكيف يشبعها.

فالترويح التربوي يقوم بدور تربوي مؤثر في تنمية شخصيات الأبناء عن طريق الأنشطة الترويحية، فمن خلاله يتعلم الأطفال دروساً في المسؤولية وتقدير الآخرين وتدعم لديهم اتجاهات مرغوبة من وجهة نظر الثقافة والمجتمع.

فالترويح، إضافة إلى عائده الإنمائي على شخصيات أفراد الأسرة، له أيضاً وظيفة في دعم قيم الثقافة وتعزيز أدوارها[2].

٦- التربية بالعادة:

العادة تؤدي مهمة خطيرة في حياة البشرية، فهي توفر متسعاً كبيراً من الجهد البشري بتحويله إلى عادة سهلة ميسرة.

والإسلام يستخدم العادة وسيلة من وسائل التربية، فيحول الخير كله إلى عادة تقوم بها النفس بغير جهد وبغير مقاومة، وفي الوقت ذاته يحول دون

---

(١) إبراهيم الدويش، إجازتي متعتي (الرياض: الدار الصولتية، بدون تاريخ) ص٣٥.

(٢) مصطفى عبد القادر وآخرون، فصول في اجتماعيات التربية، ط٣ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ) ص ١٣٦.

الآلية الجامدة في الأداء بالتذكير الدائم بالهدف المقصود من العادة والربط الحي بين القلب البشري وبين الله.

وقد بدأ الإسلام، وهو ينشأ في الجاهلية، بإزالة العادات السيئة التي وجدها سائدة في البيئة العربية، واتخذ لذلك إحدى وسيلتين إما القطع الحاسم الفاصل وإما التدرج البطيء حسب نوع العادة التي يعالجها وطريقة تمكنها في النفس، فكل عادة تتصل بأصل التصور والعقيدة والارتباط المباشر بالله فقد قطعها قطعاً حاسماً من أول لحظة، فهي كالأورام الخبيثة في الجسم ينبغي أن تستأصل من جذورها وإلا فلا حياة.

فالشرك وعادة وأد البنات والكذب والغيبة والنميمة كان لابد من مواجهتها مواجهة حاسمة، أما العادات الاجتماعية التي لا تقوم على مشاعر الفرد وحدها وإنما ترتبط بأحوال اجتماعية واقتصادية متشابكة فقد لجأ فيها إلى التدرج البطيء مع استمرار الوعظ والتوجيه.

والإسلام يلجأ في ذلك إلى إثارة الوجدان، وإنشاء الرغبة في العمل، ثم يحول الرغبة إلى عمل واقعي ذي صورة محددة واضحة، ثم يحول الرغبة والعمل من مسألة فردية إلى رباط اجتماعي؛ فالصلاة رغبة في الاتصال بالله والدعاء إليه فيحول هذه الرغبة إلى عمل محدد ذي حدود ثم ينظمها في أوقات محددة، والزكاة رغبة في التحرر من الشح والعطف على المحتاج والتعاون مع الجماعة فتتحول الرغبة إلى عمل محدد ذي نسبة معينة وأوقات محددة، ثم يحول العمل الفردي إلى نظام تقوم عليه الدولة والمجتمع.

إن الهدف هو ربط القلوب دائماً بالله في كل حادثة وكل قصة وكل شعور، والمجال دائماً مفتوح أمام كل مربٍّ له عين مفتوحة وقلب واع وإدراك بصير، إنه يستطيع أن يدرك اللحظة المناسبة للتوجيه، عندئذ يعقد العقدة الوثيقة التي لا تنحل ويطبع الطابع العميق الذي لا يزول[1].

إن رعاية اكتساب العادات من الطرائق التربوية الأصيلة في حياتنا الإسلامية، كما قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منّا على ما كان عوّده أبوه

فاكتساب العادة عموماً أمر سهل تربوياً؛ لأن ميول التقليد والاندماج والمشاركة النفسية الوجدانية للصغار تساعدهم على التقبل والامتصاص لكل ما حولهم من عادات، أما تصحيح العادة بعد أن رسخت أو تغييرها بعد أن استحكمت فهذا أمر يحتاج إلى قناعة ذاتية وإرادة قوية واستمرار، لذا كانت التربية الناجحة هي التي تعتني أولاً باكتساب العادة الحسنة لتكون وسيلة لسعادة الإنسان واستقامته؛ والإنسان يجب أن يعيد النظر في بعض عاداته السلوكية والقولية والانفعالية وعادات أبنائه، فما وجده سليماً مستقيماً حمد الله واستمر عليه وما وجده منحرفاً أصلح نفسه وقوم سلوكه؛ والطفل بفضل ما زوده الله به من ذكاء وإحساس وإدراك يستطيع في حياته المبكرة وقبل المدرسة أن يتعلم بنفسه الكثير من السلوك والكلام والانفعال والمفاهيم والقيم.

---

(١) منهج التربية النبوية، مرجع سابق، ٢٠٠٤/١.

فعملية التنشئة تستمد مقوماتها من عمليات تربوية أخرى مندرجة فيها في التعلم والتعليم والتعويد والتقليد والمشاركة الوجدانية[1].

وخير ما نقلده ونقتبس منه ونتعود منه العادات السليمة هو محمد ﷺ فقد رسم منهجاً تربوياً رائعاً في جميع العادات والعبادات، التي عملت على استقامة أبناء الصحابة في وقته؛ لأن مرحلة الطفولة هي من أهم المراحل العمرية في غرس قيم الخير والفضيلة، فسنته ﷺ مليئة بالتوجيهات التي عنيت بتنشئة الصغار وتعويدهم على العبادة والاستقامة.

وكذلك كان السلف الصالح يحرصون على تعويد أولادهم على العبادات والآداب الإسلامية، فقد كان الحكماء يقولون: الصلاح من الله والأدب من الآباء؛ وفي الصلاة يقول عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه: «حافظوا على أبنائكم في الصلاة وعودوهم الخير فإن الخير عادة». وكان عروة يأمر بنيه بالصلاة إذا عقلوها، وبالصوم إذا طاقوه.

وكان علي بن الحسين يأمر الصبيان أن يصلوا الظهر والعصر جمعاً والمغرب والعشاء جمعاً، فيقال له: يصلون الصلاة لغير وقتها، فيقول: هذا خير من أن يتناهوا عنها[2].

أما في الصيام، فعَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ: «**مَنْ كَانَ**

---

(١) الرسول العربي المربي، مرجع سابق، ص٤٤٧.

(٢) الجصاص، أحكام القرآن، ١٩٥/٥.

أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِه» فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ عِنْدَ الإِفْطَارِ[1].

وفي هذا الحديث تمرين الصبيان على الطاعات وتعويدهم على العبادات، قال عمر، رضي الله عنه، لنشوان[2] قد أفطر في نهار رمضان: «ويلك وصبياننا صيام» فضربه.

فالصيام عبادة جسدية يتعلم منها الطفل الإخلاص الحقيقي لله ومراقبته لله في السر، وتتربى إرادة الطفل بالبعد عن الطعام رغم الجوع والبعد عن الماء رغم العطش. ويتعود على الصبر والجلد ويتذكر به إخوانه الجائعين.

فالأحاديث التي ذكرت في صوم الصبيان فيها حجة على مشروعية تمرين الصبيان عليه، والترغيب فيه، وكما حث الإسلام على تعويد الأبناء الصلاة والصيام حث على التدريب على الحج وأنه من أركان الإسلام الخمسة، فقد روى مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قَالَ: رَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ»، قال ابن بطال: أجمع أئمة الفتوى على سقوط الفرض عن الصبي حتى يبلغ، إلا أنه إذا حج به كان له تطوعاً عند الجمهور.

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أي لإنسان نشوان.

وقال أبو حنيفة: لا يصح إحرامه، ولا يلزمه بفعل شيء من محظورات الإحرام، وإنما يحج به على جهة التدريب.

وروى أحمد والبخاري والترمذي وصححه عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: حُجَّ بِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ[1].

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، رَضِي اللَّه عَنْهمَا، قَالَ: أَقْبَلْتُ وَقَدْ نَاهَزْتُ الْحُلُمَ أَسِيرُ عَلَى أَتَانٍ لِي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي بِمِنًى حَتَّى سِرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ نَزَلْتُ عَنْهَا فَرَتَعَتْ فَصَفَفْتُ مَعَ النَّاسِ وَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.. وَقَالَ يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ: بِمِنًى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ[2].

وروى ابن السني عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد الحج، فمشى معه رسول الله ﷺ فقال: **يَا غُلَامُ زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى، وَوَجَّهَكَ فِي الْخَيْرِ، وَكَفَاكَ الهمَّ**، فلما رجع الغلام على النبي ﷺ فقال: **يَا غُلَامُ قَبِلَ اللهُ حَجَّكَ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ**[3].

فهذا الحديث يدل على اهتمام الرسول ﷺ بهذا الركن بالنسبة للأطفال، حيث إنه يمشي معهم ويدعو لهم[4]. وروي عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**أَيما صَبِيٍ حَجَّ ثُمَّ بَلَغَ الْحِنْثَ فَعَلَيه أَن يَحُجَّ حَجَّةً أُخرى**»[5].

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم ١٨٥٨، ص٢٩٩.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم ١٨٥٧، ص٢٩٩.

(٣) انظر كنز العمال، رقم الحديث ١٧٤٨٦، ٧٠٤/٦.

(٤) منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ٢٢٦.

(٥) انظر الألباني، صحيح الجامع، حديث رقم ٢٧٢٩، ٥٢٩/١.

هذه الأحاديث كلها تدل على اهتمام وعناية الرسول ﷺ بتدريب وتعليم الأطفال العبادات منذ صغرهم، وأن ما يقومون به من هذه العبادات هو تمرين لهم وهم يكتسبون الأجر عليه كما يكتسب مربوهم هذا الأجر.

وكذلك لركن الزكاة نصيب من تعليمها الرسول ﷺ الأبناء وتعويدهم عليها وتعويدهم على البذل والعطاء والشفقة بالفقراء والمحتاجين، فبنفقتهم وعطائهم للمساكين تتهيأ نفوسهم لدفع الزكاة.

فقد أخرج أبو داود عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْب، رحمه الله، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا وَفِي يَدِ ابْنَتِهَا مَسَكَتَانِ غَلِيظَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ لَهَا: **أَتُعْطِينَ زَكَاةَ هَذَا؟** قَالَتْ: لا، قَالَ: **أَيَسُرُّكِ أَنْ يُسَوِّرَكِ اللَّهُ بِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سِوَارَيْنِ مِنْ نَارٍ؟** قَالَ: فَخَلَعَتْهُمَا فَأَلْقَتْهُمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَتْ: هُمَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ.

وعن زكاة الفطر أخرج البخاري ومسلم ومالك والنسائي وأبو داود عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، قَالَ: فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ.. ومن هنا نجد حرص الرسول ﷺ على إعطاء الزكاة لمستحقيها وتعويد الأبناء على الصدقة؛ وأما زكاة الفطر فوضح أنها واجبة على الكبير والصغير، فهي طهرة لأموالهم.

ومن حرص الرسول ﷺ وصحابته على تعليم وتعويد الأبناء العبادات حرصهم الشديد على تعليم وتحفيظ وتلاوة كتاب الله عز وجل، فهو من أجل الأعمال التي يمكن أن يقوم بها الوالدان، فحفظه فيه حفظ للأوقات

وشرف للأبناء والبنات وحفظ من الضياع والانحراف، فإذا هم تعلموه وحفظوه أثر ذلك في سلوكهم، فهو دستور الأمة وأساس بنيانها، وبالقرآن أنقذت هذه الأمة من الظلمات والضياع والتخبط، فلذلك كان أول ما عني به شباب أصحاب النبي ﷺ هو القرآن وحفظه وتعلمه.

فهذا أنس، رضي الله عنه، يشهد مع معاذ لزيد بن ثابت، رضي الله عنهما، أنه قد وعى القرآن وجمعه، فيقول: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار أبي، ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد بن ثابت.

وكان عمرو بن سلمة، وهو من صغار الصحابة، حريصاً على تلقي القرآن فكان يتلقى الركبان ويسألهم ويستقرئهم حتى فاق قومه أجمع.

وكذلك البراء بن عازب، رضي الله عنه، جاوز العاشرة بقليل يقول: «فلم يقدم علينا رسول ﷺ حتى قرأت سورة من المفصل»؛ وابن عباس، رضي الله عنهما، يقول عن نفسه: « تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ»[1].

ويقول في رواية أخرى عن نفسه: «سلوني عن التفسير فإني حفظت القرآن وأنا صغير».. كل ذلك تربية من الرسول ﷺ لأبناء الصحابة، الذين كان يحثهم على حفظ القرآن وتعلمه وتلاوته فامتثلوا سنته حيث قال ﷺ: **«مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ»**[2].

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم ٥٠٣٥، ص٩٠٢.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم ٤٩٣٧، ص٨٨٠.

فهذه النصوص وغيرها كانت تدفع أبناء الصحابة للعناية بالقرآن وتعلمه وتعاهده، فما أجدر بأبنائنا بالسير على نهجهم واقتفاء أثرهم[1].

وينبغي لولي الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن منذ الصغر، وذلك ليتوجها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم، وأن هذا كلامه، وتسري روح القرآن في قلوبهم، ونوره في أفكارهم ومداركهم وحواسهم، وليتلقنا عقائد القرآن منذ الصغر، وأن ينشأ ويشبَّ على محبة القرآن والتعلق به والائتمار بأوامره والانتهاء عن مناهيه والتخلق بأخلاقه والسير على منهاجه، قال الحافظ السيوطي: تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشأون على الفطرة ويسبق على قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال؛ وأكد ابن خلدون هذا المفهوم بقوله: «تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهالي الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل به من الملكات»[2]. فمن أبرز وسائل تحقيق التربية الإيمانية للأبناء ربطهم بالقرآن حفظًا وتعليماً، لحرص الرسول ﷺ على ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩).

---

(١) محمد الدويش، شباب الصحابة، مواقف وعبر (الرياض: دار الوطن، ١٤١٧هـ) ص٢٤.

(٢) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ) ص٢٩٣.

وقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ؛ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»[1].

وليقين السلف والعلماء والمربين بفضل القرآن في تكوين جيل صالح يحمل تبعات هذه الأمة فقد أكدوا تعليمه للصبيان منذ الصغر، ومن شدة حرصهم على ارتباط أولادهم بالقرآن فقد كانوا يتحينون أوقات نزول هذه البركات القرآنية فيجمعون أولادهم عليها، فعن ثابت قال: «كان أنس إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم».

والقرآن يفيض بالتربية التي تهدف إلى تكوين الشخصية السوية وإيجاد العناصر الرئيسة المكونة لها، وقد أجريت دراسة حول إمكانية وجود علاقة بين مدى حفظ القرآن ومستوى الأداء لمهارات القراءة لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي بمدينة الرياض، وأسفرت النتائج عن وجود علاقة إيجابية قوية بين مدى حفظ القرآن وتلاوته ومستوى أداء التلاميذ لمهارتي القراءة الجهرية وفهم المقروء[2].

والقرآن الكريم له تأثير كبير على النفس البشرية عامة، كلما اشتدت النفس صفاءً كلما ازدادت تأثراً، والطفل أقوى الناس صفاء وفطرته ما زالت نقية.

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) محمد العجمي وآخرون، تربية الطفل في الإسلام، مرجع سابق، ص٧٤.

ومن تأثيرات القرآن في نفس الطفل حينما يعايشه ترتيلاً وفهماً يستطيع هذا الطفل أن يحل كثيراً من مشاكله الاعتقادية والنفسية، وأن يقوّم سلوكه، وأن يهدئ انفعالاته العصبية، وأن يوسع من ذاكرته.

وذكر المغراوي في كتابه[1]: «أول ما ينبغي للمؤدب أن يعلم الصبي السور القصار من القرآن بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل، ويدرِّجه بذلك حتى يألفه طبعه، ثم يعرفه عقائد أهل السنة والجماعة».

وأعلم أنها أجل المعايش لقوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[2] والقرآن كلام الله المعجز، وهو الكتاب المقدس في الإسلام، والصدر الأول والأساس لأحكام الشريعة الإسلامية، ودستور الأمة في جميع نواحي الحياة، في العقائد والعبادات والمعاملات والتربية، وفي كل أمر من أمور الحياة وإضافة إلى ذلك نجد القرآن الكريم ينتهج في تربية الإنسان مناهج تربوية عظيمة، فقد خاطب العقل وحاسب السرائر وأدب الحواس وهذب الإنسان[3].

وهناك نماذج من أطفال السلف حفظوا القرآن نضعها بين يدي الوالدين والأبناء لتكون وسيلة في استنهاض الهمم وشحن النفوس نحو

---

(١) انظر عبد الهادي التازي (تحقيق)، المغراوي وفكره التربوي (مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٧هـ) ص١١٤.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) تربية الأبناء والبنات، مرجع سابق، ١٩١.

الاهتمام بحفظ القرآن الكريم، ولتكون أداة فعالة في تنشيط العقول وتحريكها للتغذي بهذا المنهل العذب[1].

١- يقول الشافعي: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر.

وينبغي أن يتعلم تعظيم القرآن، حيث إن تعظيم العلم تعظيماً للقرآن الكريم.

وينبغي له ألا يأخذ الكتاب إلا بطهارة، حكي عن الشيخ الإمام شمس الأئمة السرخسي أنه كان مبطوناً وكان يكرر في ليلة فتوضأ في تلك الليلة سبع عشرة مرة، لأنه كان لا يكرر إلا بطهارة، وهنا لأن العلم نور والوضوء نور فيزداد نور العلم به؛ ومن التعظيم الواجب يمد الرجل إلى الكتاب ويضعه فوق الكتب وأن يقرأ بالبسملة ويستقبل القبلة[2].

٢- يقول عبد الله التستري: فمضيت إلى الكتّاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين[3].

٣- أما الإمام النووي، رحمه الله، فيقول الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي عنه: رأيت الشيخ وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يُكْرِهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن في تلك

(١) منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص١٠١.
(٢) برهان الدين الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعلم، المرشد الأمين في تربية البنات والبنين، تحقيق مصطفى عاشور (القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت.) ص٦٠.
(٣) الإمام الغزالي، الإحياء، ٧٢/٣.

الحال، فوقع في قلبي محبته، وكان قد جعله أبوه في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فأتيت معمله فوصيته به، وقلت له: إنه يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع به الناس فقال لي: أمنجم أنت؟ فقلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر ذلك لوالده فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الحلم.

وكما حرص النبي ﷺ وصحابته على تعلم الأبناء القرآن الكريم كذلك حرصوا حرصاً شديداً على تعليم السنة النبوية، فقد قال زين العابدين بن الحسين بن علي، رضي الله عنهم: كنا نُعلّم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السور من القرآن.

وقد ذكر الخطيب البغدادي عن طلب والد علي بن عاصم قال: دفع إلي أبي مائة ألف وقال: اذهب فلا أرى لك وجهاً إلا بمائة ألف حديث.

وكما حرص الإسلام على تربية الأبناء على حفظ القرآن والسنة وتعليمهم سائر العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج حرص كذلك على تعويدهم وتدريبهم وتعليمهم العادات الإسلامية والأخلاق النبيلة وأن يتمثلوها في حياتهم، وكل ذلك واضح وجلي في سنة النبي ﷺ وطريقة تربيته للأطفال التربية الإسلامية، التي تقوم على التمسك بهذه العادات والآداب الإسلامية وكيفية ومدى تأثيرها على حياتهم وسلوكهم؛ لأن تكوين العادة في الصغر أيسر بكثير من تكوينها في الكبر، وذلك أن الجهاز العصبي الغض للطفل أكثر قابلية للاستقبال، وبعد سن التمييز يبدأ التعويد الفعلي المقصود، ونستفيد من خصائص الطفولة هذه في غرس هذه العادات التي سينشأ الطفل عليها، وينبغي

أن يتضاعف جهد المربي على تنشئة الأبناء على حسن الخلق والبناء الأخلاقي السليم؛ وقد حرص العلماء على غرس المبادئ الخلقية في نفوس الأطفال، فقد قال ابن القيم في كتابه «أحكام المولود»: «وما يحتاج إليه الطفل أشد الاحتياج الاعتناء بأمر خُلُقه، فإنه ينشأ على ما عوّده المربي في صغره من حرد وغضب ولجاج وعجلة وخفة مع هواه وطيش وحدَّة وجشع فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك وتصير هذه الأخلاق صفات راسخة له».

وقد حض بعض أهل العلم على أهمية استغلال فترة الطفولة في غرس الأدب والخلق الحسن، فقال: «إن الصبي يولد على الفطرة الخالصة والطبع البسيط، فإذا قوبلت نفسه الساذجة بخلق من الأخلاق نقشت صورته في لوحة ثم لم تزل تلك الصورة تمتد شيئاً إلى أن تأخذ بجميع أطراف النفس وتصير كيفية راسخة فيها، حائلة لها عن الانفعال بضدها، يؤيد هذا أنا إذا رأينا في الغرباء من هو لطيف الخطاب جميل اللقاء مهذب الألمعية لا نرتاب في دعوى أنه ممن أنبته الله في البيوت الفاضلة نباتاً حسناً».

وتتجلى أهمية الأدب وغرسه للطفل أكثر فأكثر عندما نرى أن الرسول ﷺ أعطاه أهمية عظمى في البناء الأخلاقي، حتى جعل غرسه في الطفل وتعويده عليه ليصبح طبيعة من طبائعه الخلقية وسجية من سجاياه الطبيعية أفضل من عملية الصدقة التي تطفئ الخطيئة، مع ما في الصدقة من أهمية في الإسلام، فعن جابر بن سمرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ**»[1].

---

(١) سنن الترمذي، مرجع سابق، رقم ١٩٥١، ص٤٥٣.

والرسول ﷺ يبين للوالدين أن أعظم هدية للطفل هي الأدب، وأفضل توريث له هو الأدب الحسن.

ولعل هناك من يغفل عن أهمية الأدب ويعده من الأمور البسيطة، التي يمكن التساهل فيها، وما يدري أنه يهيء ولده للعقوق، وما علم أن غرس الأدب حق الولد على أبيه كواجب حق الطعام والشراب، وقد وعى السلف الصالح أهمية الأدب ومقداره وسمو رفعته فأيقظوا أطفالهم عليه، وشبوا على ذلك، ونصحوا الأمة به، فهذا الصحابي عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، يوجه نداء للوالدين بخطاب رقيق يضع لهم معادلة رياضية ومسألة حسابية فيقول: «أدب ابنك فإنك مسؤول عنه ماذا أدبته؟ وماذا علمته؟ وهو مسؤول عن برك وطواعيته لك».

وهكذا سار السلف الصالح يوجهون أطفالهم إلى أهمية الأدب ويورثونه لهم، والأمثلة والنماذج على ذلك كثيرة ومتعددة. فقد قال بعض السلف لابنه: «يا بني لأن تعلم باباً من الأدب أحبّ إلي من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم»، وقال أحدهم: «علمٌ بلا أدب كنار بلا حطب، وأدبٌ بلا علم كروح بلا جسم».

وهناك صفات أدبية كثيرة خصها رسول الله ﷺ في توجيه الأطفال وبنائهم أخلاقياً واجتماعياً من خلالها، ويجب على المربين أن يجعلوا أطفالهم يتمثلون خُلُق النبي ﷺ فقد كان خير مثال يحتذى، وكان تعامله مع الأطفال تعاملاً تربوياً رائعاً حريٌّ بنا أن نحتذي حذوه، فقد أخرج الإمام البخاري

عن أنس بن مالك، رَضِي اللّه عَنْهُ، قَالَ: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ وَلا لِمَ صَنَعْتَ وَلا أَلا صَنَعْتَ».

وفي رواية مسلم: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَة فَقُلْتُ: وَاللّهِ لا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَان وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللّهِ، قَالَ: أَنَسٌ وَاللّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: هَلا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا!».

هذا هو خلق رسول الله ﷺ مع أطفال المسلمين، فما أحرانا أن نتخلق بأخلاقه مع أطفالنا لنريهم الأسوة الحسنة برسول الله ﷺ فسنته مليئة بالمواقف التربوية الرائعة، التي خص بها تربية الأطفال على الآداب والأخلاق النبيلة، ومن ذلك:

أ- تعويد الأطفال على سنة السلام:

كان ﷺ يتمثل الخلق قبل تعليمه، فنجده يمر على الصبيان ويسلم عليهم، أخرج البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، رَضِي اللّه عَنْه، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ.

فهو عليه الصلاة والسلام يحث الصبيان ويعلمهم ويعودهم على تحية الإسلام، فبسلامه، عليه الصلاة والسلام، يغرس هذه السنة في نفوس الأطفال بدون توجيه وأوامر وإنما امتثالاً وتأسياً به عندما يرونه إذا مرَّ سلّم على من عرف ومن لم يعرف.

وروى الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَا بُنَيَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ»**.

وروى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ؛ وروى أبو داوود من طريق حُمَيْد قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: انْتَهَى إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا غُلَامٌ فِي الْغِلْمَانِ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ وَقَعَدَ فِي ظِلِّ جِدَارٍ - أَوْ قَالَ: إِلَى جِدَارٍ- حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ. قال ابن بطال: في السلام على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة، وفي طرح الأكابر رداء الكبر وسلوك التواضع ولين الجانب[1].

وقد تحقق ذلك الركن المهم في التربية، وهو ركن الحب والعطف، تحقق عملياً في تربية النبي ﷺ لأصحابه، رضوان الله عليهم، فكان ذلك مثلاً حياً وعملاً يقتدي به المربون على مر الأزمان، ولنقف على ذلك من خلال حديث نبوي لإمام المربين محمد ﷺ لنعرف كيف نوجد علاقة الحب هذه، عن ثابت بن أنس، رضي الله عنه، قال: « أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا

---

(١) منهج التربية النبوية، مرجع سابق، ص١٣٥.

أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ، قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ، قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ»[1].

فأنس بن مالك، رضي الله عنه، طفل في العاشرة من عمره مهمته الأساسية خدمة رسول الله ﷺ احتاج رسول الله ﷺ حاجة ملحة و لم يجد خادمه بين يديه، هل بعث وراءه من يجلبه عنوة أم راح هو وراءه يبحث عنه؟

إذن فلا ريب أن يبحث المربي بنفسه عن ولده إذا كان في حاجة إليه والسؤال عنه، إذا غاب أو افتقده، وزيارته إذا مرض، وهذا يساعد في تقوية أواصر المحبة والصداقة بين المربي والطفل؛ ويستكمل أنس الحديث فيقول: «فسلّم علينا رسول الله ﷺ»، فهو يسلم على الأطفال اللاهين، و لم يتفرق أحد عند رؤيته ذعراً أو خوفاً منه، فهم يشعرون أنه صديق حبيب لهم أتى المكان لقيهم فسلم عليهم، و لم يشعر الطفل بشخصيته وقيمته إلاّ يوم يرى رسول الله ﷺ يمر وهو يلعب فيلقي عليه التحية، فأي رحمة وأي عظمة في هذا السلوك النبوي الكريم، وكم يشعر الابن والتلميذ بشخصيته واعتزازه بنفسه وثقته بها عندما يمر معلمه ووالده فيلقيان عليه السلام، فما أروع هذه التربية الإيمانية التي تقوم على بناء الطفل اجتماعياً فتجعله يتكيف مع وسطه الاجتماعي وتجعله عنصراً فاعلاً في مجتمعه بعيداً عن الخجل والانطواء

---

(١) صحيح مسلم، رقم ٦٣٧٨، ص١٠٩٢.

المزعج، يخالط يعاشر ويأخذ ويعطي ويتكلم باحترام، فالرسول ﷺ لم يغفل هذا الجانب في تكوين الطفل، فضلاً عن أنه لم يغفل أموراً اجتماعية خصها ﷺ في تكوين الطفل اجتماعياً.

ب- عيادة الطفل إذا مرض:

فعندما يرى الطفل وهو ما يزال في مرحلة الطفولة أن الكبار يأتون إليه في حال مرضه فإنه يتعود هذه العادة الحسنة، وتخفف هذه الزيارة من آلامه وأسقامه لا سيما إذا دعمت بدعوة للإسلام والتوبة فإن هذه العيادة تثمر، بإذن الله، كما فعل ﷺ فقد أخرج البخاري عَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّه عَنْه، قَالَ: «كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ (ﷺ) فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[1]؛ وهكذا نجد منه ﷺ استغلال كل فرصة ليغرس شيئاً في نفس الطفل، وفي كل لقاء يعلمه علماً نافعاً، وفي كل مشاهدة يعوّده على الخير.

ولكي يتقبل الأبناء من المربين ما يجب أن يغرسه المربون فيهم من فضائل يجب أن يسعى المربي لإيجاد الحب بينه وبين الابن، وذلك باستغلال أوقات مرضه فيسأل عنه ويصبره ويعتني به، وينبغي على المربي أن يلتزم بآداب زيارة المريض ويعلمّ الطفل ويغرس فيه آداب هذه العيادة عند زيارته

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم ١٣٥٦، ص٢١٧.

أو عندما يزوران مريضاً، وذلك كأن:

١ - يدق الباب برفق ويغض بصره.

٢- أن تكون العيادة في وقت مناسب.

٣- أن يدنو العائد من المريض ويجلس عند رأسه ويضع يده على جبهته ويسأله عن حاله وعما يشتهيه.

٤ - ألا يطيل الجلوس عند المريض لئلا يشق على أهله إلا إذا اقتضت الضرورة.

٥ - أن يدعو له بالعافية.

٦ - ألا يتكلم بما يزعجه ويقلقه.

٧- أن يوسع له بالأمل ويشير عليه بالصبر.

وينبغي أيضاً أن يغرس المربي في الابن فوائد عيادة المريض، التي يتحصلها المسلم ومنها:

١ - إرضاء الله سبحانه وتعالى.

٢- تذكير بالآخرة وترقيق للقلب.

٣- تصلي عليه الملائكة وتستغفر له.

٤ - فيها اتباع لسنة النبي ﷺ.

٥ - تحقيقها للتواصل بين المسلمين وتحقيق الألفة بينهم.

٦- رجاء بركة دعاء المريض.

٧- تطييب لخاطره ورفع لروحه المعنوية.

٨- تجعل العائد كأنه في ضيافة الجنة يريح شذاها رضى وحبوراً.

٩- تبشره بالجنة وتغمره الرحمة.

١٠- تبعده عن النار سبعين خريفاً.

١١- في عيادة المشرك رجاء أن يهديه الله للإسلام[1].

ج- اصطحاب الطفل إلى مجالس الكبار:

كان الأطفال يحضرون مجالس النبي ﷺ وكان آباؤهم يأخذونهم إلى تلك المجالس الطيبة، فهذا عمر يصحب ابنه إلى مجلس رسول الله، أخرج البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِي اللَّه عَنْهمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَلا تَحُتُّ وَرَقَهَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هِيَ النَّخْلَةُ، فَلَمَّا خَرَجْتُ مَعَ أَبِي قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا، لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: مَا مَنَعَنِي إِلا أَنِّي لَمْ أَرَكَ وَلا أَبَا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُمَا فَكَرِهْتُ.. وفي رواية: فإذا أنا أصغر القوم فسكت[2].

ففي أخذ الطفل إلى مجالس الكبار تظهر نواقصه واحتياجاته، فيستطيع المربي عند ذلك توجيهه نحو الكمال، ويشجعه على الجواب عندما يطرح

---

(١) محمد أحمد سيد وآخرون، إشراف صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن ابن ملوح، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (جدة: دار الوسيلة، ١٤١٨هـ) ٣٠٥٧/٧.

(٢) صحيح البخاري، رقم ٦١٤٤، ص١٠٧١.

سؤال، فيتكلم بعد استئذان وذلك بكل أدب ووقار فيتكلم معهم ويتلقح عقله وتتهذب نفسه، ويتعرف إلى أحاديث الكبار شيئاً فشيئاً فيتهيأ لدخول المجتمع.

وفي حديث ابن عمر محبة عمر الخير لنفسه ولولده، وظهور فضيلة الولد في الفهم في صغره، وليزداد من النبي ﷺ حظوة، ولعله كان يرجو أن يدعو له إذ ذاك بالزيادة في الفهم[1].

وكان الرسول ﷺ ينبه الرجال إلى أدب المجلس عندما يحضره الأطفال، روى الطبراني عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يجلس بين الرجل وابنه في المجلس**». كما كان ﷺ ليصحب الأطفال معه في الطريق ويركب معهم على الدابة.

وروى ابن سعد وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال له عبد الرحمن بن عوف: لم ندخل هذا الفتى معنا؟ ولنا أبناء مثله؟

فقال: إنه ممن قد علمتهم، فدعاهم ذات يوم ودعاني وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا الله أن نحمده ونستغفره إذا جاء نصر الله وفتح علينا، وقال بعضنا: لا ندري، وبعضهم لم يقل شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس: أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ص٢٠٢٨ رقم ٤٦٩٨.

أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً والفتح: فتح مكة، فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم؛ قال المهاجرون لعمر: «ادع أبناءنا كما تدعو ابن عباس، قال: ذاكم فتى الكهول، إن له لساناً سؤولاً وقلباً عقولاً»[1][2].

هكذا جلس السلف الصالح مع الأطفال ينقلون إليهم التوجيهات العمرية المفيدة ليكونوا شخصية فذة في مستقبل حياتهم وأداة تأثير فاعلة فيه.

د- تعويد الطفل البيع والشراء:

إن اهتمام الرسول ﷺ بتكوين الطفل اجتماعياً واقتصادياً يتجلى في توجيهه لكل ميادين الحياة وتفاعل الطفل مع الواقع الجديد والمجتمع الجديد الذي ينشأ فيه، وعملية البيع والشراء تكسبه حركة اجتماعية قوية، إذ يتعامل مع أطفال مثله ويتعود كيفية النشوء في هذه الحياة ويستفيد من وقته في شيء مفيد، كما أنها تكسبه الثقة النفسية الاجتماعية ويتحول إلى إنسان سوي يتعلم الجد في الحياة شيئاً فشيئاً، ويتعود الأخذ والعطاء، ويفهم الحياة فهماً جيداً صحيحاً بعيداً عن الدلال المفرط الذي يقتل الأطفال.

بل إن رسول الله ﷺ يدعو لهذا الطفل بأن يبارك الله له تجربته وفي صفقته، روى أبو يعلى والطبراني عن عمر بن حريث أن رسول الله ﷺ مرّ

(١) في رواية الحاكم في مستدركه، مرجع سابق ٣/٥٤٠.
(٢) تربية الأبناء والبنات، مرجع سابق، ص١٥٠.

بعبد الله بن جعفر وهو يبيع بيع الغلمان أو الصبيان قال: «**اللهم بارك له في بيعه**» أو قال: «**في صفقته**».

كذلك من القواعد التي وضعها الإسلام في تربية الطفل اجتماعياً تعويده منذ نعومة أظفاره على آداب اجتماعية أخرى وتخليقه مبادئ تربوية عامة، حتى إذا شب وتدرج في سني الطفولة وأصبح يدرك حقيقة الأشياء كان تعامله مع الآخرين في غاية البر والإحسان وكان سلوكه في المجتمع في منتهى المحبة والملاطفة ومكارم الأخلاق.

هـ- تعويد الطفل أدب الطعام والشراب:

للطعام آداب على المربي أن يعلمها للولد ويرشده إليها ويلاحظه في أمر تطبيقها، وهي شاملة في حديث رسول الله ﷺ لما روى مسلم عن عُمَر بن أَبِي سَلَمَةَ، رضي الله عنهما، يَقُولُ: كُنْتُ غُلامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا غُلامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»[1].

فهو يربي الطفل على التسمية في بداية الطعام وألا يأكل إلا بيمينه ويأكل مما يليه ولا يأكل مما يلي الآخرين، وكذلك ألا يبدأ بالطعام عندما يوجد من هو أكبر منه، فقد روى مسلم في صحيحه عَنْ حُذَيْفَةَ، رضي الله عنه، قَالَ: «كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ»[2].

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم ٥٣٧٦، ص٩٦٠.

(٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، رقم ٥٢٥٩، ص٩٠١.

و- تعويد الطفل الاستئذان:

وللاستئذان آداب، فعلى المربي أن يرسخها في الولد ويعلمها إياه امتثالاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (النور:٥٨-٥٩).

فالله سبحانه وتعالى يأمر المربين في هذه الآية أن يرشدوا أطفالهم الذين لم يبلغوا سن البلوغ إلى أن يستأذنوا على أهلهم في ثلاثة أحوال:

١- من قبل صلاة الفجر؛ لأن الناس إذ ذاك يكونون نياماً في فرشهم.

٢- وقت الظهيرة (القيلولة)؛ لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحالة مع أهله.

٣- من بعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت نوم وراحة.

أما إذا بلغ الأطفال سن البلوغ والرشد فعليهم أن يستأذنوا في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها امتثالاً لقوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ

﴿فَلْيَسْتَـْذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (النور:٥٩)، ولا يخفى ما في هذه اللفتات القرآنية من اهتمام الإسلام في تربية الولد اجتماعياً، وتكوينه سلوكياً وخلقياً، حتى إذا بلغ سن الشباب كان النموذج الحي عن الإنسان الكامل في أدبه وخلقه وتصرفه واتزانه.

وللاستئذان آداب أخرى وهي مرتبة كما يلي:

١- أن يُسلِّم ثم يستأذن:

لما روى أبو داود عن رَجُلٍ مَنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتٍ فَقَالَ: أَلِجُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِخَادِمِه: اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ فَقُلْ لَهُ: «**قُلِ السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟** فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ».

٢- أن يعلن عن اسمه أو صفته أو كنيته:

لما جاء في الصحيحين في حديث الإسراء المشهور، قال رسول الله ﷺ: «**...فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قِيلَ: مَنْ هَذَا قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ، قَالَ: مُحَمَّدٌ... فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ، قَالَ: مُحَمَّدٌ... فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا، قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ ...**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري.

وفي الصحيحين، عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِي اللَّه عَنْه، يَقُولُ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي فَدَقَقْتُ الْبَابَ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: أَنَا أَنَا، كَأَنَّهُ كَرِهَهَا»[1].

٣- أن يستأذن ثلاث مرات:

لما في الصحيحين، عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلا فَارْجِعْ»**[2].

٤- أن لا يدق الباب بعنف:

ولا سيما إن كان رب المنزل أباه أو أستاذه أو ذا فضل.. أخرج البخاري في الأدب المفرد عن أنس، رضي الله عنه: «أن أبواب رسول الله ﷺ كانت تقرع بالأصابع»، وكان السلف يقرعون أبواب أشياخهم بالأظافر، وهذا يدل على مبالغتهم في الاحترام والأدب.

٥- أن يتحول عن الباب عند الاستئذان:

روى الطبراني عن عبد الله بن بسر، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تأتوا البيوت من أبوابها ولكن ائتوها من جوانبها فاستأذنوا، فإن أذن لكم فادخلوا وإلا فارجعوا»**.

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم ٦٢٥٠، ص١٠٨٨.

(٢) أخرجه مسلم.

وروى أبو داود: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الأَيْمَنِ أَوِ الأَيْسَرِ وَيَقُولُ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ»[1].

هذه من القواعد المهمة التي وضعها الإسلام في آداب الاستئذان، فما على المربين إلا أن يتقيدوا بها ويعلموها أولادهم ليعتادوا في حياتهم الاجتماعية عليها وفي تعاملهم مع الناس[2].

ز- تعويد الطفل على الصدق:

خلق الصدق أصل مهم من أصول الأخلاق الإسلامية، التي تحتاج إلى جهد لتركيزها وتثبيتها، ورسول الله ﷺ اهتم بتثبيت هذا الخلق في الطفل وهو يراقب تصرفات الوالدين مع الطفل وذلك لتجنب وقوع الوالدين في رذيلة الكذب على الطفل، ويضع قاعدة عامة: أن الطفل إنسان له حقوقه في التعامل الإنساني، ولا يجوز للوالدين خداعه بأية وسيلة كانت، واللامبالاة في التعامل معه، أخرج أبو داود عن عبد الله بن عامر، رضي الله عنه، قال: «دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا. قالت: تَعَالَ أُعْطِكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَةٌ».

---

(١) سنن أبي داود، مرجع سابق، حديث رقم ٥١٨٦، ص٧٢٨.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ٤٣٤/١-٤٣٥.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ: تَعَالَ هَاكَ، ثُمَّ لَمْ يُعْطِه فَهِيَ كَذْبَةٌ**»[1]، وأخرج الترمذي عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ قَالَ: قُلْتُ: لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ: فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**»[2].

وقد اهتم السلف بتركيز هذا الخلق الذي يتفرع عنه الصدق في الموعد سواء وعد الكبار للصغار أو وعد الأطفال مع بعضهم بعضاً؛ روى الإمام السمعاني عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله، رضي الله عنه، أنه قال: «**إياكم والروايا روايا الكذب فإن الكذب لا يصلح بالجد والهزل، ولا يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجز له**»[3].

وروي كذلك عن يحيى، قال سليمان بن داود لابنه: «**يا بني إذا وعدت فلا تخلف، فتستبدل بالمودة بغضاً**»[4].

إن تربية الصدق في نفس الولد وكل مسلم، رجل أو امرأة، تؤدي إلى ضبط السلوك الفردي فتكفه عن الألفاظ والأعمال، التي لا يقبلها المجتمع المسلم، كما تشجعه على القول السديد لكي يعيش في أمن مع أفراد مجتمعه

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه الترمذي.
(٣) أخرج ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ مَسْعُود، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «...وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ لا يَصْلُحُ بِالْجِدِّ وَلا بِالْهَزْلِ، وَلا يَعِدُ الرَّجُلُ صَبِيَّهُ ثُمَّ لا يَفِي لَهُ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ... ».
(٤) منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص ١٥٨.

ويكتسب محبتهم واحترامهم؛ والقرآن الكريم يبين أن الصدق دعامة أساس للخلق الفاضل والمجتمع الفاضل، كما أن الصدق دعامة أساس لنهضة المجتمع وتقدمه وتماسكه، فإن تحري الصدق في جميع المواقف يدفع عن المجتمع المسلم غائلة الظنون لتبقى الحقائق راسخة لا يغشاها ظن أو ريب ما دامت عادة الصدق تسود سلوك أفراده، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات:٦).

فالإسلام لا يؤسس أحكامه على الظن الواهم، بل يحتم وضوح الحقائق، وهو بهذا يرسي للمجتمع الإنساني الأسس التربوية والأخلاقية التي تضمن أن تسير فيه الحياة في ثبات واستقرار.. إن عادة الصدق دعامة أساس في خلق الولد المسلم، وصبغة دائمة ثابتة في سلوكه، وعلامة على قوة إيمانه ويقينه؛ ولما كان الكذب رذيلة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس كل كذاب أشر كما تنبئ عن سلوك معوج شاذ وجدنا رسول الله ﷺ يدعو إلى التحلي بعادة الصدق ويحرص عليها ويرشد إلى أسس تربيتها، كما يحذر من الكذب وينفر منه لتتكون عادة كراهية الكذب فتكون عاملاً مساعداً لتربية عادة الصدق في نفوس أفراد المجتمع المسلم، ذلك أن المجتمع الذي تسود فيه عادة الصدق تقوى فيه الروابط الاجتماعية وتحفظ الحقوق وتصان العهود، ومن هنا تظهر حاجة المجتمعات إلى تربية عادة الصدق والعمل على تنميتها.

روى الإمام مسلم عَنْ عَبْد اللَّه بن مَسْعُود، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ بِرٌّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّة، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّه صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ فُجُورٌ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا»(١).

فالبر كلمة جامعة لأبواب الخير والفضل، فهو جامع لأصول الدين كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجامع للفرائض كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم، وجامع للمندوبات والسنن كبذل المال في وجوه الخير لليتامى والمساكين، وجامع لمبادئ الإسلام وآدابه العليا كالوفاء بالعهد والصبر عند البأساء والضراء وحين البأس.

إن خلق الصدق في حياة الإنسان قابل للاكتساب، قابل للتنمية والترسيخ عن طريق التدريب العملي والتعويد المقترن بالإرادة الجازمة، فمن مظاهر الإرادة الجازمة تحري الصدق في الأقوال كلها، والذي يتحرى الصدق لا يسمح لنفسه بأن يلقي كلاماً دون تروٍّ ولا بصيرة، ولا يسمح لنفسه بأن يتبع ما ليس له به علم فيحكم بالظنون، التي ليس لها ما يؤيدها من الأدلة الكافية للإثبات والنفي، ولا يسمح لنفسه بأن يرائي أو ينافق في أعماله؛ لأنه يحرص على الصدق ويتحرى بإرادته الجازمة الصدق في أقواله وأعماله.

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم ٦٦٣٧، ص١١٣٨.

وفي الحديث الشريف تحذير من عادة الكذب وتنفير منه، فليحذر الابن من الكذب ولينفر منه؛ ويُلاحظ أن اقتران عادة الصدق مع الكذب وعرضهما بهذه الصورة دعوة إلى تربية عادتين في وقت واحد وهما تربية عادة محبة الصدق وعادة كراهية الكذب(١).

ولقد امتدح الله سبحانه وتعالى الصدق في محكم التنزيل في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩)، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب:٢٣).

ح- تعويد الطفل على حفظ الأسرار:

لقد عني رسول الله ﷺ بتنشئة الأطفال على خلق كتم الأسرار؛ لأنه يمثل صلاح الطفل في حاله ومستقبله وسلامة الأسرة وانطلاقها والمحافظة على المجتمع وبنائه، فالطفل الذي تعود كتم الأسرار ينشأ قوي الإرادة رابط الجأش ضابط اللسان فتنشأ عن ذلك الثقة الاجتماعية بين الناس بحفظ أسرار بعضهم بعضاً، فقد أخرج مسلم عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ جَعْفَرٍ، رضي الله عنهما، قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّه ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ لِحَاجَتِه هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ (يَعْنِي حَائِطَ نَخْلٍ).

---

(١) تربية الآباء والبنات، مرجع سابق، ص٣٤٤.

وحديث أنس، رضي الله عنه، عندما تأخر على أمه، فقَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ، قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا[1].

ط- تعويد الطفل على الأمانة:

الأمانة خلق أصيل، اتصف به سيدنا محمد ﷺ من عهد الطفولة إلى عهد الرسالة، حتى وصفه المشركون بالصادق الأمين، وفي ذلك عبرة للطفل المسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ لتساعده فيما بعد على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؛ وقد حدد رسول الله ﷺ مسؤولية الولد في مال أبيه فيكون أميناً على القيام به بلا إسراف ولا تبذير، كما في الصحيح: « وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». ونلحظ أن من اهتمام الرسول ﷺ بخلق الأمانة وتأصيله في الطفل أنه لم يرض من الطفل خطأه في هذا الركن وإنما عاقبه عندما أخل به وشد أذنه.

قال النووي في الأذكار: روينا في كتاب ابن السني عن عبد الله ابن بسر الصحابي، رضي الله عنه، قال: بعثني أمي إلى رسول الله ﷺ بقطف من عنب فأكلت منه قبل أن أبلغه إياه، فلما جئت به أخذ بأذني وقال: يا غُدر[2].

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) منهج التربية النبوية، للطفل، مرجع سابق، ص ١٦٠.

فالاهتمام بالترغيب بالأمانة واجب لضمان حقوق الله وحقوق الناس، ويتأكد هذا الأمر في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨) وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال:٢٧)، فقد كان ﷺ المربي الأول يوجه المسلمين دائماً إلى الالتزام بالأمانة وأدائها، وكان يشدد على التركيز بالأمانة فيقول: «**لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ**»[1]، فالأمانة منهج الصادقين الصالحين، فيجب أن تكون منهج المربين والمربيات ليربوا أبناءهم عليها ويعتبروا برسول الله ﷺ.

ي – تعويد الطفل على سلامة الصدر وترك الأحقاد:

إن سلامة الصدر من الأحقاد تحقق توازناً نفسياً لدى الإنسان، وتعوده على حب الخير للمجتمع، وتطلق عنان قوة الخير للنفس البشرية إلى أعلى قممها، وقد وجه النبي ﷺ نداءً إلى الطفل الناشئ أنس بن مالك أن يغسل أدران نفسه صباحاً ومساءً فيسامح من أساء إليه ويفرغ قلبه من أي بقايا من وساوس الشيطان ونفثه في الرؤوس والنفوس، فلنسمع سوياً إلى هذا النداء العجيب العظيم:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد.

أخرج الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، رضي الله عنه، قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ». فالجنة والصحبة مع رسول الله ﷺ لمن استطاع أن يكون قلبه سليماً من الغش والحقد والحسد واللوم، فالحسد ظاهرة اجتماعية خطيرة، إن لم يعالجها المربون في أطفالهم ستؤدي إلى نتائج سيئة وآثار خطيرة، فيجب على كل من يقوم بمسؤولية التربية أن يعالج الحسد بالحكمة والتربية القويمة، ويعالج الأسباب التي تؤجج نار الغيرة والحسد في نفوس الأطفال؛ والإسلام عالج ظاهرة الحسد بمبادئ تربوية حكيمة لو أخذ المربون بأسبابها اليوم لنشأ الأولاد على المودة، والإيثار، والمحبة، والصفاء، ولأضمروا كل تعاون وتعاطف بينهم وكذلك بالنسبة للآخرين.

وتتجسد هذه المبادئ التربوية لعلاج الحسد في عدة أمور، منها:

١- إشعار الطفل بالمحبة:

فقد روى الترمذي وغيره عن عَبْد اللَّهِ بْن بُرَيْدَةَ قَال: سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، رضي الله عنهما، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ «قَالَ: صَدَقَ

اللهُ ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال:٢٨) فَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا».

وكان، عليه الصلاة والسلام، يداعب الحسن والحسين، رضي الله عنهما، فيمشي على يديه وركبتيه ويتعلقان به من الجانبين فيمشي بهما ويقول: «**نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما**».

وروى البخاري عَنْ عَائِشَةَ، رَضِي اللَّه عَنْهَا، قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**».

وروى مسلم عَنْ عَائِشَةَ، رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**».

ينبغي إشعار الطفل بأنه محبوب وأنه محل عناية وعطف، وهذا ما كان يوجه إليه المربي الأعظم ﷺ في هذه الأحاديث، ولينهج المربون طريقة رسول الله ﷺ في إشعار الطفل بالمحبة إن أرادوا تكوين شخصيات أطفالهم على الحب والتعاون والإيثار وتحريرهم من الحقد والأثرة والأنانية.

فالعاطفة تشكل مساحة واسعة في نفس الطفل الناشئ، فهي تكّون نفسه وتبني شخصيته، فإن أخذها بشكل متوازن كان إنساناً سوياً في مستقبله وفي حياته كلها، وإن أخذها بغير ذلك من الزيادة أو النقصان تشكلت لديه عقد لا تحمد عقباها، فالزيادة تجعله مدللاً لا يقوم بتكاليف الحياة، ونقصانهما تجعله إنساناً عنيفاً قاسياً على كل من حوله، وكان رسول الله ﷺ هو النموذج الحي الذي يرأف بالأطفال ويقبلهم ويمازحهم ويرحمهم ويعتني بهم عناية خاصة ويبني فيهم العاطفة، بذلك يكون الطفل إنساناً سوياً في مستقبله، لأن هذه القبلة وهذه الرأفة والرحمة دليل على رحمة القلب بهذا الطفل الناشئ، وهي برهان على تواضع الكبير للصغير، وهي النور الذي يشرح نفس الطفل ويزيد تفاعله مع من حوله، ثم هي أولاً وأخيراً السنة الثابتة عنه ﷺ في الأطفال، فقد كان أرحم الناس بالصبيان العيال، وهذه الرحمة والشفقة صفة من صفات النبوة المحمدية، وهي طريق لدخول الجنة والفوز برضوان الله تعالى.

ومن صور رحمة الرسول ﷺ بالأطفال ما أخرجه البخاري عن أنس، رضي الله عنه: « **إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ**».

٢- مداعبة وممازحة الطفل:

إن مداعبة وممازحة الأطفال من الأعمال التي يجب أن يقوم بها الوالدان؛ لأنها واجب تربوي وهم مطالبون بالاقتداء برسول الله ﷺ في ذلك، فعن راشد بن سعد عن يعلي بن مرة أنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ ودُعينا إلى طعام فإذا حسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يده فجعل يفرها هنا وهناك فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه ثم اعتنقه وقبله، ثم قال: **حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»**[١].

وروى البخاري في الأدب المفرد والطبراني عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: سمعت أذناي هاتان وبصر عيناي هاتان رسول الله ﷺ أخذ بيديه جميعاً بكفي الحسن أو الحسين وقدميه على رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يقول: «ارقه» قال: فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ثم قال: رسول الله ﷺ: **افتح فاك** ثم قبله، ثم قال: **اللهم أحبه فإني أحبه»**[٢].

وكان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول: **«يا زوينب، يا زوينب**، مراراً»[٣].

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن أنس، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له:

---

(١) الأدب المفرد، مرجع سابق، رقم ٣٦٤، ص١٢٩.
(٢) الأدب المفرد، مرجع سابق، رقم ٨٦، ص٧٢.
(٣) أورده الألباني في صحيح الجامع عن أنس بن مالك.

أبو عمير وهو فطيم كان إذا جاءنا قال: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» لنغر كان يلعب به[1].

ففي هذا الحديث جواز الممازحة وتكرير المزاح وفيه ترك التكبر والترفع وأخرج البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ اسْتَقْبَلَتْهُ أُغَيْلِمَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَحَمَلَ وَاحِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَآخَرَ خَلْفَهُ[2].

واقتدى الصحابة، رضوان الله عليهم، برسول الله ﷺ فسارعوا إلى ممازحة ومداعبة أطفالهم، ينزلون إلى منازلهم ويتصابون لهم ويلاعبونهم، فقد روى الديلمي وابن عساكر عن أبي سفيان قال: دخلت على معاوية وهو مستلق على ظهره وعلى صدره صبي أو صبيه تناغيه، فقلت: أمط عنك هذا يا أمير المؤمنين، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«من كان له صبي فليتصاب له»**.

حتى أن عمر، رضي الله عنه، ليعزل أحد عماله عن الرئاسة لأنه وجد منه دليلاً واضحاً على قسوة قلبه تجاه أولاده، فعن محمد بن سلام قال: استعمل عمر بن الخطاب رجلاً على عمل فرأى الرجل عمر يقبل صبياً له، فقال الرجل: أفتقبله وأنت أمير المؤمنين، لو كنت أنا ما فعلته؟ قال عمر: فما ذنبي إن كان نزع من قلبك الرحمة، إن الله لايرحم من عباده إلا الرحماء.. ونزعه من عمله، فقال: أنت لا ترحم ولدك فكيف ترحم الناس.

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه البخاري.

بهذه المداعبة والملاعبة والتصابي ومحاكاة الطفل كان تعامل رسول الله ﷺ مع الأطفال، وهو يغذي نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة الطيبة بعيداً عن الجفاء والقسوة وعدم إعطاء الطفل حقه.

كذلك للهدية أثر طيب في النفس البشرية عامة، وفي نفوس الأطفال أكثر تأثيراً وأكبر وقعاً، وقد سن رسول الله ﷺ قاعدة للحب بين الناس فنصح الأمة بقوله: «تَهَادَوْا تَحَابُّوا»[1].

والرسول ﷺ بين لنا عملياً هذا الركن القوى في بناء عاطفة الطفل وتحريكها وتوجيهها وتهذيبها؛ أخرج مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِأَوَّلِ الثَّمَرِ فَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَفِي ثِمَارِنَا وَفِي مُدِّنَا وَفِي صَاعِنَا، بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ**»[2] ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ.

فهذا الحديث يلاحظ منه أن الرسول ﷺ كيف كان يداعب عواطف الأطفال بمسح رؤوسهم فيشعرون بلذة الرحمة والحنان والحب والعطف الأمر الذي يشعر الطفل بوجوده وحب الكبار له واهتمامهم به، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ[3].

---

(١) صحيح الجامع، مرجع سابق، رقم ٣٠٠١، ص٥٦.
(٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، رقم ٣٣٣٤، ص٥٧٦.
(٣) أخرجه مسلم.

ومن الأمور التي تزرع الثقة في نفس الطفل وتبعده عن الحسد والغيرة وتنمي فيه الحب والحنان حسن استقباله؛ لأن اللقاء مع الطفل لابد منه، فإذا كان اللقاء طيباً استطاع متابعة الحديث وفتح الحوار والتجاوب مع المتكلم فيفتح قلبه وما يدور في خاطره ويعرض مشاكله ويتحدث عن أمانيه، كل هذا إذا أحسن استقبال الطفل بفرح وحب ومداعبة[1] وهذا ما وجه إليه ﷺ الأمة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ؛ قَالَ: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ، قَالَ: فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلاثَةً عَلَى دَابَّةٍ[2].

٣- تحقيق العدل بين الأبناء:

إن تحقيق العدل بين الأبناء والمساواة بينهم في المعاملة كفيل بإزالة آفات الضغائن والأحقاد من قلوبهم، ولذا أوجب الإسلام العدل بين الأولاد، ونهى عن تفضيل بعضهم على بعض؛ لأن ذلك يفضي بهم إلى العقوق ويفسد ذات البين ويقطع الصلات التي أمر الله بها أن توصل.

فلا عجب أن نرى المربي الأول، صلوات الله وسلامه عليه، وهو يحض الآباء والمربين جميعاً على تحقيق مبدأ العدل بين الأبناء، بل كان، عليه الصلاة والسلام، يستنكر كل الإنكار عدم العدل فيقول: «**اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ، اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ، اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ**»[3].

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ١٦٥.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه البخاري، ٣/٢٠٦، ومسلم، ١٦٢٣.

بل إنه ﷺ ليزيد الأمر تأكيداً حتى ينبه إلى العدل حتى في القبلة بين الصبي والبنت. فقد روى البيهقي عن أنس، رضي الله عنه، أن رجلاً كان جالساً مع النبي ﷺ فجاء بني له فقبله وأجلسه في حجره ثم جاءت بنية فأخذها فأجلسها إلى جنبه، فقال النبي ﷺ: «**فهلا عدلت بينهما**»[1].

فأي منهاج في العالم كله ! بل وأي مدرسة تربوية تستطيع أن تنبه إلى العدل في القبلة والجلوس في الحجر والجوار... إنها مشكاة النبوة.. وينبه ﷺ الآباء والمربين للتسوية في العطاء، والحقيقة الملموسة والمشاهدة حقاً هي أن عامل المفاضلة بين الأولاد من أعظم العوامل في انحراف الولد النفسي، سواء أكانت المفاضلة في العطاء أم في المعاملة أم في المحبة.

فلهذه الظاهرة أسوأ النتائج في انحرافات الولد السلوكية والنفسية؛ لأنها تولد الحسد والكراهية، وتسبب الخوف والحياء والانطواء، وتورث حب الاعتداء والمشاجرة والعصيان، وتفضي إلى العقوق وتفسد ذات البين، وتقطع الصلات.

وليس أدل على خطورة الشعور بعدم العدل بين الأخوة من قول الله تعالى في محكم كتابه، على لسان إخوة يوسف، عليه السلام: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف:٨).

(١) حديث حسن أخرجه البيهقي (١١٠٢٢).

فكانت نتيجة قناعتهم هذه أن أقدموا على عمل مشين في حق الأخوة وحق الأبوة: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ (يوسف: ٩).

وهكذا غلى الحقد في قلوبهم، ودخل الشيطان فاختل تقديرهم للوقائع، وتضخمت في حسهم أشياء صغيرة هونت الفعلة الشنعاء المتمثلة في إزهاق روح أخ لهم من أبيهم، وتضخمت في أعينهم حكاية إيثار أبيهم له بالحب حتى توازى القتل أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله[1].

وحتى يتجنب الآباء والمربون تعرض الأبناء إلى آفة الحقد والحسد وحتى تكتمل شخصيتهم وتنشأ سوية في ظلال التربية الصالحة وجب عليهم عدم المحاباة، بل لابد من المساواة والعدل بين الأبناء وإعطاء كل واحد منهم انتباهاً ومعاملة خاصة.. ولأجل عدم إثارة الحسد بين الإخوة يمكن تصنيف الأبناء على أساس أن كل واحد منهم متفوق في شيء ما، فواحد في المداومة على الدراسة والتفوق العلمي، وآخر في العبادة، والثالث في النظافة، وهكذا نستطيع أن نوفق بين الأبناء على حسب مواهبهم وشخصياتهم[2].

فعلى المربي أن يعرف كيف يوزع اهتماماته بين أطفاله، فقد تهتم الأم بالمولود الجديد ويشعر المولود الأكبر أنه خسر أمه بسبب أخيه الصغير فيحقد عليه وقد يؤذيه، وقد تتنبه لديه أحاسيس الشعور بالظلم ويعاني منها

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط٧ (بيروت: دار الشروق، ١٣٩٨هـ) ٤/١٩٧٣.
(٢) تربية الأولاد، مرجع سابق، ص ٣٣.

طويلاً، ومن المعروف أن الطفل الأكبر يستأثر بالكثير من العناية، كما أن آخر الأطفال يعد عادة ابن الأسرة المدلل، أما الطفل الأوسط فإن الاهتمام به يكون أقل، ولابد للأم والأسرة كلها أن تلحظ مثل هذا المعنى، وطالما اشتعلت نار العداوة بين الإخوة بسبب تصرف الأهل[1].

إن الأطفال ذو حساسية شديدة وذو ذكاء، فانحياز الوالدين أو أحدهما لطفل من أولادهما دون الآخرين أو محبة واحد منهم وكراهية الآخر، كل ذلك يدركه الطفل بوضوح حتى ولو كان في عامه الثاني وكلما كبر ازداد إدراكه لذلك. وهذا مما يسبب للطفل المحروم عوامل القلق والغيرة والحسد والتباغض بين الإخوة والأخوات، فوحدة السياسة التربوية للوالدين في معاملة الأطفال وعدلهما بين البنين والبنات من أكبر عوامل التنشئة التربوية وعوامل الطمأنينة النفسية، أما المعاملة الظالمة والمتميزة فإنها من عوامل زراعة الحقد بين الأطفال الأبرياء الناشئين[2]؛ والرسول المربي ﷺ يضرب لنا مثلاً في عدالة المعاملة بين الأطفال.

إنها زوجة الصحابي بشير بن مسعد الأنصاري، رضي الله عنه، حين طلبت من زوجها بشير أن يخص ولدها منه، وهو النعمان بن بشير، بمنحة خاصة له، وأرادت توثيق هذه الحصة فطلبت من زوجها أن يشهد على ذلك رسول الله ﷺ فذهب بشير الأنصاري إلى الرسول يستشهده. فَقَالَ:

(١) عبد الكريم بكار، دليل التربية الأسرية (الأردن: دار الإعلام ، ١٤٢٢هـ) ص١٥٠.
(٢) الرسول العربي المربي، مرجع سابق، ص١٢٥.

أَلَهُ إِخْوَةٌ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَهُ، قَالَ: لا، قَالَ: «فَلَيْسَ يَصْلُحُ هَذَا، وَإِنِّي لا أَشْهَدُ إِلا عَلَى حَقٍّ»(١).

وفي رواية: «لا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ»(٢)، « إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَعْدِلَ بَيْنَهُمْ، كَمَا أَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ أَنْ يَبَرُّوكَ»(٣).

ومن العدل بين الأبناء عدم تفضيل الذكر على الأنثى، إذا ما رُزق الوالدان بالذكر والأنثى؛ جاء الإسلام يعلمهما طريقة التعامل معهما، وذلك بالمساواة بينهما، حتى جعله الرسول ﷺ أحد أسباب دخول الجنة؛ روى أبو داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»(٤).

وأخرج النسائي عن عُبَيْد اللَّهِ بْن سَعِيد عَنْ يَحْيَى عَنْ فِطْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُسْلِمُ بْنُ صُبَيْحٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: ذَهَبَ بِي أَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُشْهِدُهُ عَلَى شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ، فَقَالَ: «أَلَكَ وَلَدٌ غَيْرُهُ؟»، قَالَ: نَعَمْ، وَصَفَّ بِيَدِهِ بِكَفِّهِ أَجْمَعَ كَذَا: «أَلا سَوَّيْتَ بَيْنَهُمْ»(٥)؛ مثل هذه الدقة النبوية في التعامل مع الصبي والبنت هو مما لا تعرفه جميع المجتمعات البشرية ولا تعلمه الكتب الغربية في تربية الأطفال.

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري.
(٣) أخرجه أبو داود.
(٤) سنن أبي دواد، مرجع سابق، رقم ٥١٤٦، ص٧٢٣.
(٥) سنن النسائي، مرجع سابق رقم ٣٧١٥، ص٥٢٠.

وهكذا يجب على المربين والآباء والأمهات أن يكونوا حذرين كل الحذر من أن يتعرض الولد لآفة من هذه الآفات النفسية وعلى رأسها الحسد، حتى تكتمل شخصيته وينشأ إنساناً سوياً في ظلال التربية الصالحة.

وبما أن الحسد له آفات نفسية وآثار اجتماعية حذر الرسول ﷺ منه ونهى عنه، حيث قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ**»[1] فما أحوج الآباء والمربين إلى هذه المبادئ التربوية في معالجة الحسد عند الأولاد، ولا شك أنهم إذا التزموها وأخذوا بتوجيهاتها نشأ الأولاد على خير ما ينشؤون من الصفاء والإخلاص.

ك- تعويد الطفل مراعاة حقوق الآخرين:

هناك حقوق اجتماعية يجب أن نرشد الولد إليها، وننشئه عليها، ونأمره بها، حتى يعتاد عليها ويقوم بأدائها خير قيام، ومن أهمها:

١- حق الأبوين:

فهذا الحق من أهم ما يجب أن يحرص المربي عليه، وهو تعريف الولد بحق والديه عليه وذلك ببرهما وطاعتهما والإحسان إليهما والقيام بخدمتهما والدعاء لهما بعد مماتهما، والرسول ﷺ وصى بوصايا عدة في بر الوالدين على المربين أن يعلموها أولادهم منذ الصغر حتى يأخذوا بها.

فهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، يضرب لنا المثل الصالح في الولد البار، ويروي لنا عبد الله بن دينار ذلك فيقول، كما روى

---

(١) سنن أبي داود، مرجع سابق، رقم ٤٩٠٣، ص٦٩١.

مسلم في صحيحه: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ: ابْنُ دِينَارٍ فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، إِنَّهُمُ الأَعْرَابُ، وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ**»[1].

وروى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: «ترفع للميت بعد موته درجته، فيقول: أي شيء هذا؟ فيقول له: ولدك استغفر لك».

كما روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: «ما من مسلم له ولدان مسلمان يصبح إليهما محتسباً إلا فتح الله له بابين، يعني من الجنة، وإن كان واحداً فواحد، وإن غضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه، قيل: وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه».. فيجب على المربي أن ينشئ ولده على ذلك البر، ويلقنه إياه حتى يتدرج الولد عليه، ويفهم منذ نعومة أظفاره حق الأبوين.

وإذا كان الولد منذ الصغر يقوم بهذا الحق على الوجه الصحيح الذي يريده الإسلام فإن قيامه بالحقوق الأخرى إزاء الآخرين، من أرحام وجيران

---

(١) أخرجه مسلم.

ومعلمين يكون أرغب، لأن فضيلة بر الوالدين هي منبع الفضائل الاجتماعية، فمن السهل على الولد الذي تربى على البر واحترام الأبوين أن يتربى على احترام الجار واحترام الكبير واحترام المعلم واحترام الناس جميعاً.

٢- حق الأرحام:

الأرحام هم الذين ترتبط بهم بصلة القرابة والنسب وهم الآباء والأمهات والأجداد والجدات والإخوة والأخوات والأعمام والعمات وأولاد الأخ وأولاد الأخت والأخوال والخالات ثم من يليهم من الأقرباء الأقرب فالأقرب.

وسماهم الشرع أرحاماً لاشتقاق الرحم من اسم الرحمن، كما أكده النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **قَالَ اللَّهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنِ اسْمِي مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ.**

فعلى المربي أن يُبصِّر الولد منذ وعيه بحقوق القرابة والرحم لتتأصل في ذاته محبة من تربطه وإياهم رابطة القرابة والنسب، حتى إذا بلغ الولد سن الرشد والنضج العقلي قام بواجب العطف والإحسان إليهم، وهذا لايتأتى إلا بتأديب الولد على هذه الخصال وتعويده على هاتيك الفضائل والمكارم؛ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١).

وإليكم أيها المربون أفضل الثمرات في صلة الرحم، أرشد إليها المربي الأول ﷺ علموها أولادكم ولقنوها لمن كان له حق التربية عليكم:

- أن صلة الرحم شعار الإيمان بالله واليوم الآخر.

- أنها تزيد في العمر وتوسع في الرزق.

- أنها تعمر الديار وتثمر الأموال.

- أنها تغفر الذنوب وتكفر الخطايا.

- تيسر سبيل الحساب وتدخل صاحبها الجنة.

- ترفع الواصل إلى الدرجات العلى يوم القيامة.

٣- حق الجار:

من الحقوق التي يجب أن يهتم المربون بها ويعتنوا بها حق الجار.. وحقوق الجار في نظر الإسلام ترجع إلى أربعة أصول هي: ألا يلحق الرجل بجاره أذى، وأن يحميه ممن يريده بسوء، وأن يعامله بإحسان، وأن يكف الأذى عنه؛ وقد عدَّ رسول الله ﷺ إكرام الجار من خصال الإيمان فقال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ»[1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ (النساء: ٣٦).

(١) أخرجه البخاري.

ومما يؤكد هذه الحقوق للجار القريب والجار البعيد ما رواه الطبراني عن جابر، رضي الله عنه، قال: «الجيران ثلاثة: جار له حق وهو المشرك، وجار له حقان وهو المسلم: له حق الجوار وحق الإسلام، وجاز له ثلاثة حقوق: مسلم له رحم، فله حق الجوار وحق الإسلام والرحم».

قال مجاهد: كنت عند عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، وغلام له يسلخ شاة، فقال: يا غلام، إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي - حتى قال ذلك مراراً - لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[1].

فعلى المربين أن يسعوا جهدهم في تخليق الولد منذ التمييز على فضيلة حسن الجوار ومراعاة حقوق الجار، حتى إذا بلغ السن الذي تؤهله لأن يتعامل مع الآخرين ويساكنهم ويكون بجوارهم كف الأذى عنهم وحماهم من كل ظلم واعتداء، وواصلهم بالبر والإحسان؛ ولاشك أن الولد حينما يتخلق على هذه الخصال الكريمة منذ الصغر تنمو في نفسه نزعة التطلع إلى الاجتماع بالآخرين، بل يصبح إنساناً اجتماعياً بكل ما في هذه الكلمة من معنى، بل تتلاشى من نفسيته آفات العزلة والانكماش والانطوائية فيثبت وجوده حيثما كان، ويبرز شخصيته أينما وجد، وما ذاك إلا بفضلٍ من الله ثم بفضل التربية الاجتماعية التي تخلق بها وتدرج عليها.

---

(١) أخرجه البخاري.

فلينتبه المربون إلى الأسس التي تنمّي شخصية الولد وتجعله من أماجـــد الناس وفضلائهم.

٤- حق المعلم:

من الحقوق الاجتماعية المهمة التي يجب أن ينتـــبه لها المربون ويذكّروا بها ويلحوا عليها تربية الولد على احترام المعلم وتوقيره والقيام بحقه حتى ينشأ الولد على الأدب الاجتماعي الرفيع تجاه من له عليه حق التعليم والتوجيـــه والتربية؛ وقد وضع النبي ﷺ أمام المربين وصايا كريمة وتوجيهات سامية في إكرام العلماء وإجلال المعلمين ليعلم الناس لهم فضلهم وليقوم من كان لـــه شرف التلمذة بحقهم ويلزم التلاميذ الأدب معهم[1].

روى أحمد والطبراني والحاكم عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، رضي الله عنـــه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»**[2].

فالعلماء ورثة الأنبياء، واحترامهم وتوقيرهم وخفـــض الجنـــاح لهـــم والمسارعة في خدمتهم وعدم رفع الصوت في مجالسهم واللطف في معاشرتهم ولين الجانب لهم... كل ذلك يحتاج لأن يتعوده الطفل.

وأورد الإمام الغزالي، رحمه الله، في «الإحياء» قول يحيى بن معـــاذ في فضل العلماء: «العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهـــاتهم، قيـــل:

(١) تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ١/١٥١.
(٢) جامع الترمذي، مرجع سابق، رقم ١٩٢٠، ص٤٤٨.

وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نـــار الـــدنيا وهـــم يحفظونهم من نار الآخرة». وهكذا نجد أهمية الأدب في حـــضرة العلمـــاء وتوقيرهم، وقد ألفت كتب بهذا الشأن، وقد روى الطبراني عن أبي أمامـــة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **إن لقمان قال لابنه: يا بني، عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله يحي القلب الميت بنـــور الحكمة كما يحي الأرض الميتة بوابل المطر»**[1].

ونلاحظ أدب الطفل الصحابي سمرة بن جندب في حضرة رسول الله ﷺ وأدبه في مجلسه، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد، سَمُرَةَ بْن جُنْدُب، رضي الله عنه، قال: لَقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّه ﷺ غُلامًا، فَكُنْتُ أَحْفَـــظُ عَنْهُ، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْقَوْلِ إِلا أَنَّ هَا هُنَا رِجَالاً هُمْ أَسَنُّ مِنِّي[2].

ل- تعويد الطفل غض البصر وحفظ العورة:

قد يتهـــاون الطفـــل أحياناً وينسى أحياناً أخرى ويغلبه هواه في لحظة ما فيرسل بصره نحو الفتيات، فماذا فعل رسول الله ﷺ في هذا الموطن؟

أخرج الإمام مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَتْهُ امْـــرَأَةٌ مِـــنْ خَـــثْعَمَ

(١) منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص ١٥١.
(٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، رقم ٢٢٣٧ ص٣٨٨.

تَسْتَفْتِيهِ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ»[1].

أما ستر العورة فإن الطفل يتعودها مع بداية أمره بالصلاة حيث لابد أن يكون لباسه ساتراً لعورته وذلك لتكون صلاته صحيحة سليمة من صغره[2].

م- تعويد الطفل النظافة:

وذلك بتعويده سنة السواك، فمعلوم لدى الجميع اهتمام الرسول ﷺ بالسواك حتى قَالَ: «**لَوْلا أَشُقُّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاةٍ**»[3].

فإذا تعود الطفل هذه العادة وبدأ ينظف أسنانه بشكل منتظم ومتواصل فإنه يقضي على كثير من الأمراض التي تكون أحياناً من تسوس الأسنان؛ وقد أثبت الطب مفعول السواك واحتوائه على مواد كيميائية تفيد الأسنان وتقوي اللثة.

فجميلٌ أن يتعود الطفل هذه السنة للنظافة والاقتداء برسول الله ﷺ.. فالنظافة ركن أساس من الأركان التي دعا إليها الإسلام؛ والطفل الذي يريد الصلاة لابد أن يتوضأ، ولابد أن تكون ثيابه نظيفة طاهرة، ولابد أن يكون المكان طاهراً.. ويجب أن يعوّد المربي ابنه على تقليم الأظافر؛ لأنه من الفطرة وليكون بعيداً عن الأوساخ.

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، رقم ٣٢٥١، ص٥٦٣.

(٢) عبد الباسط محمد السيد، النبي مربياً (الجيزة: دار غراس، ١٤٢٩هـ) ص١٨٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد.

ن- تعويد الطفل قراءة الأذكار صباحاً ومساءً:

أخرج البخاري عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ**» ويقول: «**إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ** »[1].

فهذا دليل على أن المربي يجب عليه تعويذ أولاده وتحصينهم وتعويدهم تعويذ أنفسهم بقراءة الأذكار اليومية؛ لأن فيها علاج من العين الحاسدة والجن وهذا العلاج ينفرد به الطب النبوي، وهو ركن من أركان المحافظة على صحة الطفل عند رسول الله ﷺ وهذا ما فعله مع الأطفال وحض الأبوين عليه.

فقد روى الإمام مالك في الموطأ عن عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ دَخَلَ بَيْتَ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي الْبَيْتِ صَبِيٌّ يَبْكِي، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ بِهِ الْعَيْنَ، قَالَ عُرْوَةُ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلا تَسْتَرْقُونَ لَهُ مِنَ الْعَيْنِ**»[2].

س- تعويد الطفل تحمل المسؤولية:

إن تدريب الابن على تحمل المسؤولية ومساعدته في ذلك تزيد من ثقته بنفسه وبخاصة في تحمل المسؤولية وإن كانت بسيطة، فتدفعه إلى بذل المزيد

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم ٣٣٧١، ص٥٦٥.

(٢) الإمام مالك بن أنس، الموطأ (جمعية إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٩هـ)، باب الرقية من العين.

من الجهد والعطاء من أجل النجاح؛ والمسؤولية تغرس في نفس الطفل منذ الصغر بتعويده تناول طعامه بنفسه إلى ارتداء وخلع ملابسه وترتيب حجرته وسريره إلى قضاء بعض الحاجات البسيطة مع إعطائه الفرصة في حل مشكلاته البسيطة بنفسه وجعله يتحمل تبعات أخطائه وإصلاحها، مع التقليل والتخفيف من اعتماد الابن على غيره حتى والديه، وهذه أول خطوة له في طريق النجاح في الحياة، فكلما قلل الابن من الاعتماد على غيره مبكراً واعتمد على نفسه كان نجاحه في الحياة مبكراً، مع الأخذ في الاعتبار أن التعاون مع الآخرين في الحدود المطلوبة هو ما يجب غرسه ودعمه في نفس الأبناء، والعكس من ذلك لا يثمر إلا طفلاً كبيرًا في ثياب رجل يفشل في حل أبسط المشكلات التي تواجهه مستقبلاً.

فلنمنح الابن الحرية مع التوجيه والمساعدة فيما يحتاج حتى يسلك سلوك الراشدين الكبار وتنمو ثقته بنفسه[1]، ولنا في أصحاب رسول الله ﷺ القدوة في تحمل الأدوار الصعبة والمسؤوليات الكبيرة وهم صبيان.

فقد أسلم علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهو ما يزال صبياً في بدء الإسلام، بل هو أول من أسلم من الصبيان، وأدرك أن المرحلة التي كان يعيشها من تاريخ الدعوة تقتضي منه أن يسهم في حمل أعباء الدعوة ويشارك في البلاغ.

ومن المواقف التي وقفها، رضي الله عنه، ما يرويه لنا أبو ذر، رضي الله عنه، في قصة إسلامه حين سأل عليًا، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال

(١) تربية الأولاد كيف نجعلها متعة، مرجع سابق، ٨٩.

له علي: «فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتْبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي، فَفَعَلَ فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ»[1].

لقد كان علي، رضي الله عنه، يدرك خطورة هذا الموقف وهذا العمل؛ وهنا مثال آخر يدل على تولي شباب الصحابة المهام، فعن أنس، رضي الله عنه، أَنَّ نَفَرًا مِنْ عُكْلٍ ثَمَانِيَةً قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ فَبَايَعُوهُ عَلَى الإِسْلامِ فَاسْتَوْخَمُوا الأَرْضَ وَسَقِمَتْ أَجْسَامُهُمْ فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ: أَلا تَخْرُجُونَ مَعَ رَاعِينَا فِي إِبِلِهِ فَتُصِيبُونَ مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا، فَقَالُوا: بَلَى، فَخَرَجُوا فَشَرِبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا فَصَحُّوا فَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَطَرَدُوا الإِبِلَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ فَأُدْرِكُوا فَجِيءَ بِهِمْ فَأَمَرَ بِهِمْ فَقُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَسُمِرَ أَعْيُنُهُمْ ثُمَّ نُبِذُوا فِي الشَّمْسِ حَتَّى مَاتُوا.

وفي رواية: وَعِنْدَهُ شَبَابٌ مِنَ الأَنْصَارِ قَرِيبٌ مِنْ عِشْرِينَ فَأَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِمْ وَبَعَثَ مَعَهُمْ قَائِفًا يَقْتَصُّ أَثَرَهُمْ[2].. فهل تظن أن دلالة هذا الحدث تقف عند مجرد تعويدهم وتربيتهم عل المشاركة الفعالة في قضايا مجتمعهم؟ أم أنها تتجاوز ذلك لتدل على الثقة بهم في مثل هذه المواقف الحاسمة؟ فما أجدر المربين اليوم أن يقفوا طويلاً عند هذه المواقف ليدركوا سراً من أسرار نجاح ذلك الجيل المبارك[3].

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) شباب الصحابة، مواقف وعبر، مرجع سابق، ص ٦٩.

ونجد أن الحنان والرعاية هما السبيل إلى تعليم المسؤولية، وأن الوالـــدين يمكنهما تحقيق ذلك بمجرد تقبيل الطفل ومعانقته وتوفير الغذاء والدفء لـــه ومصابرته وحمايته من الخوف والضر والغضب، ولكن الواقع أن هذا النوع من العناية هو الأساس الذي يقوم عليه كل سلوك تتمثل فيه جوانب المسؤولية.

والتنمية الحقة للشعور بالمسؤولية متدرجة من الوســـائل البـــسيطة، في البداية تستلزم وجود مستودع هائل من الشعور الطيب لدى الأطفال مـــع رصيد من الحب في أعماق نفوسهم، فالطفل يتعلم أن يكون محباً لغيره مـــن معيشته من البداية في ظل رعاية تقوم على الحب.

والمعروف أن الذين يشعرون بالمسؤولية الحقة يكون الحب دائماً أساس علاقاتـــهم بغيرهم، أما الذين يميلون إلى العداوة وتنطوي نفوســـهم علـــى المرارة وإيذاء (الغير) فهؤلاء يكونون عادة مشغولين بأحاسيـــسهم الخاصـــة لدرجة تصرفهم عن تحمل المسؤولية الحقة حيال أنفسهم وحيـــال غيرهـــم؛ وهكذا نجد الأطفال يتوجهون نحو الحب والتعاطف أو عكسهما في ســـني حياتهم الأولى(١).

ومما يعين على تحمل الأطفال المسؤولية احترام شخصياتهم وإشـــعارهم بالثقة في أنفسهم، روى مسلم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ، فَقَالَ لِلْغُـــلامِ: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاءِ؟ فَقَالَ الْغُلامُ: لا وَاللَّهِ لا أُوثِرُ بِنَـــصِيبِي مِنْـــكَ

(١) مصطفى أبو سعد، التقدير الذاتي للطفل (بدون ناشر، ١٤٢٥هـ) ص٩٠.

أحَدًا».. وهكذا يعتاد الطفل الجرأة الأدبية، وينشأ بعيداً عن الانهزامية والجبن وفيه قوة رأي وحجة فهم.

إذن ما معنى أن نعلم أبناءنا المسؤولية، المسؤولية هنا تعني النضج، بمعنى أن الطفل يكون مسؤولاً تجاه الأسرة ونحو نفسه وتجاه المجتمع، وتعني أن تكون مسؤولية عن كافة جوانب حياتنا وأوضاعنا، والأفضل أن يتعلم الأطفال المسؤولية تجاه آبائهم بالطاعة وتجاه المجتمع ويعملون من أجله ثم تجاه أنفسهم بالتهذيب[1].

ع- تعويد الطفل على الصلاة في المسجد وربطه به:

وذلك بأخذه إلى المسجد؛ لأن المسجد هو الصرح الذي يبني الأجيال؛ ولقد كان وما يزال هو المصدر لأجيال باعوا أنفسهم لله وساروا على منهجه واقتدوا برسولهم، لهذا عني أطفال الصحابة بالصلاة مع رسول الله ﷺ في المسجد، فهذا جابر بن سمرة يحدثنا عن طفولته وصحبته لرسول الله ﷺ.. روى مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلاةَ الأُولَى (يعني صلاة الظهر) ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ (أي صبيان)، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ، أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا؛ قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ[2].

---

(١) كيف تعلمون أطفالكم تحمل المسؤولية، ترجمة أحمد رمو (دمشق: دار علاء الدين، بدون تاريخ) ص١٢.

(٢) أخرجه مسلم.

وقد سئل الإمام مالك، رضي الله عنه، عن رجل يأتي بالصبي إلى المسجد أتستحب ذلك؟ قال: إن كان قد بلغ موضع الأدب وعرف ذلك ولا يعبث فلا أرى بأساً، وإن كان صغيراً لا يقر فيه ويعبث فلا أحب ذلك.

وقد طلب الرسول ﷺ من أئمة المساجد أن يخففوا الصلاة رأفة بالأطفال، الأمر الذي دل على جواز صلاة الأطفال وأخذهم إلى المسجد.

أخرج البخاري عن عقبة بن عمرو البدري، رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ»**(١).

ونقول: إن المسجد الذي خرّج أطفال الصحابة والسلف الصالح قادر على أن يخرج أمثالهم إذا وجه الآباء والأمهات أطفالهم نحو المسجد ترغيباً لا تنفيراً.

وإن ركعة واحدة يؤديها المسلمون في بيت من بيوت الله جنباً إلى جنب تغرس في نفوسهم من حقائق المساواة الإنسانية وموجبات الود والأخوة ما لا تفعله عشرات الكتب التي تدعو إلى المساواة وتتحدث عن فلسفة الإنسان المثالي، لهذا وغيره بدأ رسول الله ﷺ إقامة المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة بعمارة المسجد معلناً بذلك أنه الركن الأول والدعامة

---

(١) أخرجه مسلم.

الأولى لقيام هذا المجتمع، وقد ظل المسجد على امتداد تاريخ المسلمين مؤسسة تعليمية للصغار والكبار، وأول الأمكنة التي تحقق الأهداف العملية للتربية، وكان الرجال الأوائل الذين حملوا اللواء هم أشبال المساجد[١].

إذن تظهر أهمية المسجد في عملية التنشئة في وظائفها التالية:

١- حفظ كرامة الإنسان كإنسان في إيمانه بالله خالقاً ومعبوداً.

٢- ممارسة العبادة طلباً لرضى الله تعالى وشكراً؛ والعبادة منبه عملي ومذكر للإنسان لسموه الروحي فوق المادة؛ والعبادة نشاط دوري موقوت في صلاة وصوم وزكاة وحج وقراءة وفعلٍ للخير؛ والعبادة مظهر لتكامل النمو الروحي السليم في تعاون الجسم والعقل والنفس والروح في أداء العبادة الإسلامية، ثم إن العبادة غذاء روحي دائم للإنسان.

٣- تكوين الضمير الحي، فالتنشئة الروحية تساعد الإنسان على تكوين الوازع والدافع لعمل الخير وتكوين المانع في ابتعاده عن الشر.

٤- رعاية القيم الخلقية والآداب السلوكية، فالتنشئة الروحية التي تمثل العبادة والمسجد تدفع للصدق والأمانة والوفاء بحفظ الوعد ورعاية الحقوق وأداء الواجبات وإغاثة الملهوف والصبر عند الشدائد؛ وذلك لأن المظهر السلوكي يمثل علاقة صادقة لقوة الإيمان وسلامة العبادة وصفاء الروح[٢].

---

(١) صالح السدلان، الأثر التربوي للمسجد (الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، بدون تاريخ) ص٨.

(٢) عبد الحميد الهاشمي، المرشد في علم النفس التربوي، دار الشروق، ص ١١١.

ونخلص من التربية بالعادة أنه على الأم والأب عدة أمور مهمة يجب عليهما تعويد الصغار عليها، ومن أبرزها:

- تعويد الطفل على النطق بالتوحيد، وغرس المعاني السامية في نفسه، وبخاصة في الخمس السنوات الأولى، فيذكر بعض الباحثين أن الطفل يتعلم في سنواته الأولى، أكثر بكثير مما يتصوره الآباء، فإن ٩٠% من العملية التربوية تتم في سنواته الأولى، فمن المهم استغلال هذه الفترة، يقول ابن الجوزي، رحمه الله: أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان صعباً.

- أيضاً تعويده النطق بالأذكار والأدعية المهمة، وغرس محبة الله في نفسه وتعظيمه وخشيته، وتعليمه أن الله يراقبه.

- كذلك تعويده على الكلمات الطيبة مثل: أحسنت، شكراً، جزاك الله خيراً.

- وأيضاً يجب على المربي تنمية الطموح لدى الطفل منذ صغره، على الهمم العالية، بأن يغرس في نفسه بأنه سيكون عالماً أو طبيباً ماهراً ومربياً فاضلاً ونحو ذلك[١].

---

(١) فالح بن محمد الصغير، المرأة المسلمة ومسؤولياتها في الواقع المعاصر (الرياض: دار أشبيليا، ١٤٢٠هـ) ص٤٣.

الفصل الثالث

صفات المربي وثمرات التربية

المبحث الأول: صفات المربي الناجح

هناك صفات أساس يجب أن تتوفر في المربي ليكون تأثيره في الأبناء أبلغ والاستجابة لمناصحتهم أقوى، من أهمها:

١ - الإخلاص:

يجب على المربي أن يحرر نيته ويخلص لله في كل عمل تربوي يقوم به، سواء أكان هذا العمل أمراً أو نهياً أو نصحاً أو ملاحظة أو عقوبة.

والثمرة التي يجنيها: تنفيذ منهج التربية على الدوام، وملاحقة الولد تربوياً باستمرار، عدا أنه يحظى بثواب الله ورضوانه، ويظفر بدار المقامة في جنات الخلد في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والإخلاص في القول والعمل هو من أسس الإيمان ومن مقتضيات الإسلام، لا يقبل الله العمل إلا بما جاء الأمر به جزماً وتأكيداً في كتاب الله عز وجل وعلى لسان نبينا، عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ (البينة:٥).

وقال، عليه الصلاة والسلام، فيما رواه الشيخان: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[1]، وقال ﷺ، فيما رواه النسائي: «**إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**». فما على المربي بعد الذي علمه إلا أن يحرر النية ويقصد وجه الله في كل عمل يقوم به ليكون عند الله من المقبولين وبين أولاده وتلامذته من المحبوبين والمؤثرين.

٢- التقوى:

إن من أميز ما يجب أن يتصف به المربي صفة التقوى، وهي كما عرفها العلماء الربانيون: «**أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك**»، أو هي كما قال بعضهم: «اتقاء عذاب الله بصالح العمل، والخشية منه في السر والعلن»، وكلا التعريفين ينصب حول مفهوم واحد ألا وهو اتقاء عذاب الله بالمراقبة الدائمة لله، والتزام المنهج الرباني في السر والعلن، وبذل الجهد دوماً لتحري الحلال واجتناب الحرام، ومما يؤكد هذا تلك المحاورة التي جرت بين عمر بن الخطاب وأبي بن كعب، رضي الله عنهما، وذلك أن عمر بن الخطاب سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال: أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى، قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى.

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم ١، ص١.

لهذا كان الحض على التقوى والأمر بها في كثير من آيات الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ (آل عمران:١٠٢)، وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (الأحزاب:٧٠).

وهناك أيضاً أحاديث كثيرة تحث على التقوى، منها:

- روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِي اللَّه عَنْه، قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ، قَالَ: «**أَتْقَاهُمْ**»[1].

- وروى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[2]. وروى الطبراني عن النعمان ابن بشير، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم**».

والمربي يدخل في مضمون هذه الأوامر والتوجيهات دخولاً أولياً لكونه القدوة الذي يؤخذ منه وينظرْ إليه، ولكونه المسؤول الأول عن تربية الولد على أسس الإيمان ومعالم الإسلام.

ومن المؤكد حقاً أن المربي إذا لم يكن متحققاً بالتقوى وملتزماً في سلوكه ومعاملته منهج الإسلام فإن الولد ينشأ على الانحراف ويتيه في

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم ٣٣٧٤، ص٥٦٥.

(٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، رقم ٦٩٤٨، ص١١٨٧.

الضلالة والجهالة، فعلى المربين أن يفهموا هذه الحقيقة إن أرادوا لأولادهم أو تلامذتهم الخير والهدى والصلاح في عالم من الطهر ودنيا من الصفاء؛ لأنهم قدوة لهم في كل شيء، وبدون هذه القدوة لا ينفع مع الأبناء تأديب ولا تؤثر بهم موعظة.. ومما ينبغي على المربي أن يكون على مستوى المسؤولية لنرى أفلاذ الأكباد شموس إصلاح وأقمار هداية يستضيء أبناء المجتمع بنورهم ويتأسون بمحاسن أخلاقهم ويرتشفون من معين آدابهم، ويصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ (الأنعام: ٩٠).

٣- العلم:

إن من الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن المربي ينبغي أن يكون عالماً في أصول التربية التي جاءت بها شريعة الإسلام، وأن يكون محيطاً بأمور الحلال والحرام، وأن يكون على دراية تامة بمبادئ الأخلاق، وأن يكون متفهماً أنظمة الإسلام وقواعد الشريعة؛ لأن العلم بهذا كله يجعل من المربي عالماً حكيماً يضع الأشياء في موضعها، ويربي الولد على أصولها ومقتضاها، ويسير في طريق الإصلاح والتربية على أسس متينة من تعاليم القرآن وهدي محمد ﷺ وأسوة كريمة من سير الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان.

وأما إذا كان المربي جاهلاً، ولا سيما في القواعد الأساسية في تربية الولد، فإن الولد قد يتعقد نفسياً وينحرف خلقياً ويضعف اجتماعياً ويكون إنساناً لا وزن له ولا اعتبار في أي مجال من مجالات الحياة؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، والحوض الفارغ من الماء لا يمكن أن يفيض على غيره، والمصباح الخالي من الوقود لا يمكن أن ينير على من حوله، وكم يجني الأب على ولده إذا كان جاهلاً؛ ولا شك أن المسؤولية أمام الله خطيرة، والوقفة يوم العرض الأكبر جسيمة: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ (الصافات:٢٤)، وذلك في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. ومن أجل هذا كان الاهتمام بالحث على العلم عظيماً، وكانت العناية بالتكوين العلمي فائقة كبيرة.

والآيات والأحاديث التي تأمر المسلمين بالعلم وتحضهم عليه وتسوقهم إليه أعظم من أن تحصى، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر:٩)، وقوله سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة:١١)، وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:١١٤).

ومن الأحاديث النبوية الشريفة: ما أخرجه مسلم، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»[1]؛ وأخرج الترمذي (وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ) أن

(١) انظر صحيح الجامع، مرجع سابق، رقم ٦١٧٤، ص٣٠٣.

رسول الله ﷺ قال: «أَلا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ»، كما أخرج قوله ﷺ: « مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ»[1].

فما على المربين بعد هذه التوجيهات القرآنية والتوصيات النبوية إلا أن يتميزوا بالعلوم النافعة والمناهج التربوية الصالحة، من أجل تربية جيل إسلامي بجهوده وعزائمه يتحقق عز الإسلام وتقوم في العالمين دولته القوية.

٤ - الحلم:

إن من الصفات الأساسية التي تساعد على إنجاح المربي في مهمته التربوية ومسؤوليته الإصلاحية صفة الحلم، وبالاتزان فيها ينجذب الولد نحو معلمه، وبسببها يستجيب لأقوال مربيه، وبواسطتها يتحلى بالآداب المحمودة ويتخلى عن الأخلاق المرذولة ويكون كالبدر حين يظهر للناس.

من أجل هذا حث الإسلام على الحلم ورغب فيه في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ليعلم الناس وبالأخص المربون والدعاة أن الحلم هو من أعظم الفضائل النفسية والخلقية، التي تجعل الإنسان في قمة الأدب وفي ذروة الكمال وفي أعلى مراتب الأخلاق.

---

(١) جامع الترمذي، مرجع سابق، رقم ٢٦٤٧، ص ٦٠١.

فمن الآيات الكريمة:

قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤). وقال سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (الشورى:٤٣). وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت:٣٤).

ومن الأحاديث النبوية الشريفة:

- قال، عليه الصلاة والسلام، لأشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»[1]. وروى أبو هُرَيْرَةَ، رَضِي اللَّه عَنْه، أنّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أوْصِنِي قَالَ: «**لا تَغْضَبْ**» فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «**لا تَغْضَبْ**»[2].

- وقال ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»[3].

فما على المربين إلا أن يتحلوا بالحلم والرفق والأناة إن أرادوا للأمة إصلاحها وللجيل هدايته وللأولاد تربيتهم وتقويم اعوجاجهم.

وليس معنى هذا أن يسلك المربي دائماً طريق اللين والرفق في تربية الولد وإعداده للحياة، وإنما المراد أن يضبط المربي نفسه دونما غضب ولا تساهل

---

(١) صحيح مسلم، مرجع سابق، رقم ١١٧، ص٣٠.

(٢) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم ٦١١٦، ص١٠٦٦.

(٣) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم ٦١١٤، ص١٠٦٦.

في تقويم الاعوجاج وإصلاح الأخلاق.. وإذا رأى من المصلحة معاقبته بعقوبة التوبيخ أو الضرب بضوابطه الشرعية مثلاً فعليه ألا يتأخر عن معاقبته حتى ينصلح أمره وتستقيم أخلاقه، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

٥- الاستشعار بالمسؤولية:

إن من الأمور التي يجب أن يدركها المربي جيداً وتتأصل في بؤرة شعوره ووجدانه: استشعاره بمسؤوليته الكبرى في تربية الولد إيمانياً وسلوكياً، وتكوينه جسمياً ونفسياً، وإعداده عقلياً واجتماعياً، هذا الاستشعار يدفعه دائماً لأن ينطلق بكليته في مراقبة الولد وملاحظته، وفي توجيهه وملاحقته، وفي تعويده وتأديبه، وعليه أن يعتقد أنه إذا غفل عنه فترة وإذا تساهل عن ملاحظته مرة فإن الولد سيتدرج في الفساد خطوة خطوة، فعندئذ يصعب على المربي إصلاحه، وعلى كل مصلح علاجه وتربيته.

لهذا نجد الإسلام حمل الآباء والأمهات والمربين جميعاً مسؤولية التربية في أبعد حدودها وفي أوسع مراميها، وحذرهم وأنذرهم أن الله سبحانه سائلهم في يوم العرض عليه عن هذه الأمانة: هل أدّوها؟ وعن هذه الرسالة هل بلغوها؟ وعن هذه المسؤولية هل تحملوها؟

قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (طه: ١٣٢)، وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم: ٦)، وقال تعالى: ﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٣). وقال سبحانه: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ (الصافات: ٢٤).

وقال، عليه الصلاة والسلام: « وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[1]، وقال، عليه الصلاة والسلام: « وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»[2]، وقال، عليه الصلاة والسلام: « مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ »[3].

وقال ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيّع، حتى يسأله الرجل عن أهل بيته»[4].

فانطلاقًا من هذا الأمر القرآني والتوجيه النبوي وجب على كل مربٍّ مؤمن عاقل بصير وحكيم، أن ينهض بهذه المسؤولية على أكمل وجه وأتم استعداد وأقوى عزيمة، واضعاً نصب عينيه غضب الله إذا فرط؛ لأن المسؤولية يوم العرض الأكبر ثقيلة، والمحاسبة عسيرة؛ فهناك مخططات كبيرة تسعى لإفساد الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، فيجب أن يكون المربي على بصيرة من أمره وليضاعف الجهود لإنقاذ ولده وإصلاح أسرته.

ونخلص إلى أن الأب مسؤول أولاً عن تربية الولد الجسمية والخلقية، إذا كان الولد في المسجد يتربى روحياً وفي المدرسة يتكون عقدياً وعلمياً وثقافياً.

---

(١) أخرج البخاري.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) جامع الترمذي، مرجع سابق، رقم ١٩٥٢، ص٤٥٣.

(٤) أخرجه ابن عساكر، وذكره الألباني في ضعيف الجامع، رقم ١٦١٢، ص٩١.

أما إن شعر أن الولد في المدرسة لا يتربى على مبادئ العقيدة الإسلامية ولا يأخذ حظه من تعاليم الشريعة فعليه أن ينهض بمسؤوليته الشاملة في تربية الولد على كل ما يتصل بالإسلام، عقيدة وعبادة وأخلاقاً وتشريعاً، بل عليه أن يضاعف جهده ويكرس وقته في كل ما يعود على الولد بالنفع الكبير والخير العميم، وعليه أن يربطه بالرفقة الصالحة والدعوة الواعية، وبهذا يكون الأب أو المربي قد أحاط ابنه بسياج من العقيدة الإسلامية الراسخة وبمناعة من الأخلاق الإسلامية القويمة، فعندئذ لا يتأثر بزيغ أو إلحاد[1].

وكان يشترط في من يقوم بتعليم الصبيان شروطاً خلقية كثيرة؛ وذلك لأنه كلما زادت الخصال المحمودة فيه زاد الصبي به تحملاً ورفعة، وأهم هذه الشروط: الرفق بالأطفال في تعليمهم، ومعاملة الطفل كما يعامله أبواه، وعلى المعلم أن يؤدبه كما يؤدبه أبواه، وهما يرحمانه ويشفقان عليه ويذبان عنه في كل الأحوال، والعدل بينهم في المعاملة، ومساواتهم في التعليم، فيكون الصبيان عنده بمنزلة واحدة لا يشرف بعضهم على بعض، فابن الفقير وابن صاحب الدنيا على حد واحد في التربية والتعليم، هذا إلى جانب كونه من أهل التقوى والورع والعفة[2].

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ٥٧٨.

(٢) حسن عبد العال، فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة (مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ) ص٧٨.

المبحث الثاني
تقوية الصلة بين المربي والولد وتمتين العلاقات بين الآباء والأبناء

من القواعد الناجحة المجمع عليها لدى علماء الاجتماع والنفس والتربية تقوية الصلة بين المربي والولد ليتم التفاعل التربوي على أحسن وجه ويكمل التكوين العلمي والنفسي والخلقي.

ومن المؤكد لدى أصحاب العقول أنه إذا كان ثمة جفوة ما بين الولد والمربي أو ما بين الطالب والأستاذ فلا يمكن أن يتم تعليم أو تتحقق تربية، لذا يجب أن يبحث الآباء والمربون عن الوسائل الإيجابية في تحبيب أبنائهم إليهم وتقوية الصلة بينهم وإيجاد التعاون معهم واستشعار الشفقة عليهم.

فمن هذه الوسائل:

١- تشجيع الولد بالهدية في كل أمر يحسنه أو دراسة يتفوق بها، لما روى الطبراني في الأوسط عن عائشة، رضي الله عنها، مرفوعاً: «**تَهَادَوْا تَحَابُوا**».

٢- ألا تفارق ثغر المربي الابتسامة للولد.

٣- استشعار الولد الاهتمام به والشفقة عليه.

٤- معاملة الولد بحسن الخلق وسياسة الملاطفة، لما روى الترمذي والنسائي والحاكم وقال: رواته ثقات عن أبي هريرة، رضي الله عنه: «**إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ**»[1].

٥- تلبية المربي رغبة الولد لتكون عوناً له على بره، كما ورد في الأثر: «رحم الله والداً أعان ولده على بره»، وكما ورد عن مصطفى السباعي: أعن ولدك على برك بثلاثة أشياء: لطف معاملته، وجميل تنبيهه إلى زلاته، وحسن تنبيهه إلى واجباته[2].

٦- اندماج المربي بالولد والمباسطة معه والتصابي له[3]، لما روى الطبراني عن جابر قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربعة، على ظهره الحسن والحسين، وهو يقول: «**نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما**».

٧- أن يبدي اهتماماً متوازناً ومدحاً وثناءً على السلوكيات الإيجابية الصادرة عن الابن، وأن يتجاهل بالمقابل عن تلك التي تبدو أقل خطرًا أو تدخل في سلوكيات الطفولة البريئة.

---

(١) جامع الترمذي مرجع سابق، رقم ١١٦٢، ص٢٨٢.

(٢) مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ) ١/٩٢.

(٣) عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام (مصر: دار السلام، ١٤٢٧هـ) ص٧٣٥.

٨- رسم خطوط وقوانين يمدح الابن على الالتزام بها، وتعزيز ما يرى من استجابة من الابن لهذه الضوابط.

٩- الاهتمام بوجهات نظر الابن، فقد تكون صائبة أو تحتاج لمناقشة وتوجيهه عليها.

١٠- مساعدة الابن على رسم أهدافه، وتعليمه فن صياغة الأهداف.

١١- شكر الله كل مرة يحقق فيها خطوة إيجابية في تمتين العلاقات[١].

ونبي الإسلام ﷺ وهو المربي الأول والقدوة الصالحة للناس جميعاً كان المثل الأعلى في تطبيق هذه الوسائل الإيجابية بين أصحابه وأهله وولده.

---

(١) مصطفى أبو سعد، الحاجات النفسية للطفل، مرجع سابق، ص١٦٨.

المبحث الثالث
ثمرات التربية الناجحة

يكاد يجمع علماء التربية على أن التربية الإسلامية الناجحة التي تؤثر تأثيراً كبيراً في سعادة الفرد والمجتمع وتماسك بنيانه هي التي تقوم على الدعائم الآتية:

١- تقوية شخصية الطفل، بحيث يجد في جو البيت ما ينمي مواهبه ويصقلها ويعدها للبناء والإفادة.

٢- تنمية الجرأة الأدبية في نفس الطفل، بحيث يعيش شجاعاً صريحاً جريئاً في آرائه في حدود النظام والخير والأدب الإنساني الكريم.

٣- تقوية روح التعاون والحب في نفسه نحو إخوانه في المجتمع، حتى يكون من رواد التكافل الاجتماعي في كل ما يعود على الأمة بالقوة والكرامة والأمن والسلام.

تلك هي دعائم التربية الصحيحة في البيوت، وبمقدار ما تتوفر للناشئة في أوسع مدى يكون وضع الأمة الاجتماعي والسياسي والديني والخلقي والاقتصادي سليماً متماسكاً، يتعاون بعضه مع بعض على صيانة المجتمع من الضعف والانهيار[١].

---

(١) مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ) ص١٥٦.

فهل تسلك بيوتنا السبيل الصحيح المؤدي إلى هذه التربية المثالية، وهل يقوم الآباء والأمهات بواجبهم نحو أولادهم في ميدان التربية والتوجيه السديد؟!! فإن أول ما يلاحظ على تربيتنا في البيوت سوء فهم نفسية الطفل، وتجاهل عواطفه، وعدم تقدير المراحل التي لابد من أن يمر بها حتى يصبح رجلاً.

٤- تنمية الرقابة الذاتية للطفل، التي لا تتحقق من فراغ بل لابد لها من قدوة صالحة تتمثل في الأسرة والمدرسة والمسجد.. والأسرة هي النواة الأولى للمجتمع وذات اليد الطولى في تنشئة الطفل وتدريبه على الرقابة الذاتية الفاعلة والقادرة على تسليح الطفل بأقوى أسلحة الحماية من الهوى والضلال والتي تمنحه ميزان التقوى الذي يزن به أمور حياته، ولابد أن تنطلق رسالة تلك الأسرة من مبدأ المودة والرحمة والالتزام بطاعة الله والمسؤولية المشتركة، ولابد أن يكون رب الأسرة مستقيماً يحافظ على دينه وخلقه وعمله وعلى تربية أبنائه وتماسك أسرته وضمان سيرها على جادة الصواب؛ لأن من شب على شيء شاب عليه، فلابد أن يشب الأبناء على تقوى الله، وتحصينهم من التيارات الوافدة الفاسدة لتنمو ذاتهم صافية نقية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ ولنعلم أن تنمية الرقابة الذاتية الفاعلة والإيجابية في أفراد المجتمع لن تتم إلا عن طريق التربية الإسلامية السليمة[1].

٥- تحقيق الرضا بين الفرد وذاته، أو بينه وبين الآخرين، أو بينه وبين خالقه لنيل رضوانه، وفي شتى جوانب الحياة ليصل إلى سعادة الدارين.

---

(١) خليفة التونسي، جولة في ذات المسلم.. البناء النفسي للمسلم المعاصر (الكويت: مكتبة البيان، ١٤٠٩هـ) ص٣٤.

٦- التربية الإسلامية الناجحة تجعل الإنسان عابداً - والعبادة هي منهاج حياته كلها- تقياً تشع التقوى من وجهه، قوياً له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح:٢٩).

كما تجعله مرناً يقدر على مواجهة كل موقف بما يليق؛ ومتواضعاً قاصداً معتدلاً معتزاً بنفسه، مستعلٍ في وجه الظلم والعدوان وفي وجه المغريات والشهوات والقيم الزائفة؛ لأنه يملك القيم الحقيقية المستمدة من الله ورسوله؛ ومحباً للناس وداعياً لهم بالخير، كريماً ذا مروءة ينفعل بآلام الناس فيسرع إلى نجدتهم ويبذل لهم المعونة ويبذل لهم من جهده وماله، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ (البقرة:١٧٧)، شخصاً متوازناً تلمح الاعتدال في سلوكه وفي فكره وشعوره.

يشعر بأهميته لأنه مؤمن مهتدٍ إلى القوة الحقيقية في هذا الكون، ومعتز بهذا الإيمان، هذا الهدى يجعله قوة فاعلة في الحياة.

نظيفاً في ثيابه، نظيفاً في سلوكه، نظيفاً في تعامله مع الناس، وهي نظافات متعددة في كل باب.

فالخشوع في الصلاة والمحافظة عليها نظافة في التعامل مع الله، ونقاء في السريرة؛ والإعراض عن اللغو نظافة في الفكر والضمير واللسان وصون لها عن الانحرافات؛ والزكاة تنظيف للنفس من شح المال؛ ورعاية الأمانة

نظافة في التعامل مع الناس واستقامة في الطبع وصدق وإخلاص، وكلها من سمات المؤمن الصالح، الذي يربيه الإسلام[1].

ناشئاً على الدين، والدين منهج للأخلاق والأخلاق، هي الدين بكل ما فيه وليست خارجة عنه، ومنهج الإسلام في الأخلاق من كتاب الله سبحانه وتعالى المتمثل في سلوك الرسول ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١) فهو ﷺ جامع للفضائل، التي هي ترجمان للعقيدة وتعبير واضح حي عن قوة الإيمان، وسائر في مجال التربية على الخط الذي رسمه له الحق جل شأنه في كتابه، ومربٍّ أصحابه على ذلك، ومهتم ﷺ بالأطفال والشباب والشابات فأحسن توجيههم، حتى كوّن منهم رجالاً ونساءً مؤمنين برسالته، شاعرين بمسؤولية العبء الملقى على عاتقهم.

٧- أن التربية الإسلامية الناجحة قامت على العقيدة، فهي الأثر البالغ في تقويم الفرد وإصلاحه وإرشاده إلى سبل الخير، ودافعه له لأن يكون مخلصاً لله ولوطنه، فبالعقيدة ضمنت سلامة الفرد والمجتمع[2].

---

(١) منهج التربية النبوية، مرجع سابق، ص٢٢٣.

(٢) محمد رجاء حنفي عبد المتجلي، المبادئ الاجتماعية في الإسلام (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٩هـ) ص١٤٤.

المبحث الرابع
مواقف تربوية من طفولة السلف الصالح

إن قراءة السير والأمثلة وتعليمها الأطفال لها الأثر الفعال في النفوس، إذ هي نماذج أكثر رسوخاً وتأثيراً، وليس أدل على ذلك من كثرة إيراد القرآن والحديث لسير السلف الصالح، فينبغي للمربي أن يستمد قصص ومواقف السلف من التاريخ والتجارب السابقة، ليغرسها في أبنائه وبناته، فهو بذلك يصل إلى ما وصل إليه هؤلاء، كل ذلك بتربيته وتوجيهه، وستظل تحفز هممهم وتستثير عزائمهم، وفي ذلك تربية لهم وصقل لمواهبهم؛ لأنهم هم من تربوا على يد رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام. ومن هذه المواقف ما رووه هم بأنفسهم:

١- ما رواه ابن عباس، رضي الله عنهما، يقول عن نفسه: « تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ وَقَدْ قَرَأْتُ الْمُحْكَمَ»(١).

٢- وهذا عبد الله بن عمر، رَضِي اللَّه عَنْهمَا، يقول: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَكُنْتُ غُلامًا شَابًّا أَعْزَبَ وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ

---

(١) أخرجه البخاري.

فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي: لَنْ تُرَاعَ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ**»، قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلا قَلِيلاً »[1].

٣- حفظ أحمد بن حنبل القرآن في صباه وتعلم القراءة والكتابة، ويقول عن نفسه: كنت وأنا غليم أختلف إلى الكتاب، ثم اختلف إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة.. وكانت نشأته فيها آثار النبوغ والرشد، حتى قال بعض الأدباء: وأنا أنفق على ولدي، وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، انظروا كيف؟ وجعل يعجب من أدبه وحسن طريقه.

٤- قال الإمام ابن الجوزي عن الشدائد التي نالته في بدء طلبه العلم وعن محامد صبره على تلك الشدائد: ولقد كنتُ في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى في بغداد فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عُرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول ﷺ وأحواله وآدابه وأحوال الصحابة وتابعيهم.

---

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، رقم ١١٥٧، ص١٨٥.

وقال أيضاً: لم أقنع بفنٍ واحد، بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأت اللغة، و لم أترك أحداً ممن يروي ويعظ ولا غريباً يقدم إلا وأحضره وأتخير الفضائل، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفسي من العدو لئلا أسبَق، وكنت أصبح وليس لي مأكل، وأمسي وليس لي مأكل، ما أذلني الله لمخلوق قط، ولو شرحت أحوالي لطال الشرح[1].

فأين أبناؤنا من هؤلاء، أين هم من هذه السير العطرة؟ من الذين اتخذوا رسول الله ﷺ قدوة لهم ونهلوا من معين تربيته وتربية أصحابه؟ فهل يمكن أن نقارن حال أبنائنا بحالهم أو نطالبهم بأن يكونوا مثلهم؟

هذا السؤال جدير بأن نجيب عليه بقولنا:

- حينما يتطلع المرء لمثل هذه النماذج فهذا لا يعني بالضرورة أن يرى في نفسه أنه قادر على أن يكون مثلهم أو أن يصل إلى منزلتهم، لكنه قد يضعهم نموذجاً أعلى له، يسعى قدر المستطاع إلى الاقتراب من حالهم.

- حينما يقرأ الابن سيرهم تتعلق نفسه بهم ويحبهم ويلهج بذكرهم، وهو إن قصرت نفسه عن اللحاق بهم فإنه جدير بوعد النبي ﷺ الذي يرويه أبو مُوسَى، رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

(١) منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص٢١٧.

- لقد كان لأصحاب رسول الله وتابعيهم دور بارز في مجتمعهم في كافة الميادين، وبرزوا بالرغم من وجودهم مع أمثالهم من الرجال الكبار الذين صحبوا النبي ﷺ كما صحبه هؤلاء وتلقوا منه كما تلقى منه هؤلاء.

وهذا يعني أن الابن في أي مجتمع يمكن أن يفوق أقرانه، وأن يكون له دور، وأن يصل لمنزلة أعلى مما يضعها لنفسه، ونحن نريد من أبنائنا أن يكونوا في مجتمعهم كما كان أبناء الصحابة في مجتمعهم[1].

فيا أيها المربي ويا أيها الأب ويا أيتها الأم لابد من بذل الجهد والعمل الدؤوب في إصلاح الطفل وتصحيح أخطائه على الدوام، وتعويده الخير، وهذا سبيل الأنبياء والمرسلين، فإذا ألقيت مسؤولية الطفل في مراتع وخيمة يُخشى أن يضاعف لك العذاب ضعفين، تعذب على تشويه تلك الجوهرة المكرمة.

لهذا نجد الرسول ﷺ يحمّل الوالدين مسؤولية تربية الأبناء مسؤولية كاملة، حتى أنه يضع قاعدة أساس مفادها: أن الابن يشب على دين والديه، وهما المؤثران القويان عليه. لذلك شبه الإمام الغزالي، رحمه الله، في رسالته «أيها الولد» التربية بعمل الفلاح، الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع لتحسين نباته، ويكمل ريعه.

وأن هذه التربية هي حق الابن على والديه، وهي ليست هبة أو هدية، وهذا أكده النبي ﷺ؛ وإنما سماهم الله أبرارًا لأنهم بروا الأبناء والآباء؛ وكما أن لوالدك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حقاً.

---

(١) شباب الصحابة، مواقف وعبر، مرجع سابق، ص١٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمد الله حمداً كثيراً، الذي وفقني لإتمام هذا البحث وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعله نافعاً في الدين والدنيا.

فلقد دفعني إلى هذا البحث ما قرأته من سيرة المصطفى ﷺ وأصحابه والتابعين في حرصهم الشديد على توجيه المربين لتربية أبنائهم التربية الإسلامية الحقة، في ضوء الكتاب والسنة، فقد كانت السنة هي المنهج العملي والتطبيق الفعلي لتربية الأطفال تربية إسلامية صحيحة، ومن خلال قوله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

تبين لي في هذا البحث أن هناك خصائص للطفولة وحاجات نفسية وجسمية وحقوقاً واجب على المربي تأديتها، وخصائص وأهداف للتربية الإسلامية؛ وهناك تربية بالقدوة والعادة والقصة وتربية بالترويح وتربية بالعقوبة والموعظة وتعامل الرسول ﷺ مع اليتيم، وصفات للمربي الناجح لتقوى صلته بأبنائه، ونتيجة لذلك ثمرات للتربية الإسلامية، وبعض المواقف التربوية للسلف الصالح.

أسأل الله أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه، وأن ينفع به.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

وكـــــلاء التـــوزيـــــع

البلد	اسم الوكيل	رقم الهاتف	عنوانه
قطـــــــــر	دار الثقافـــــــــــــــــة دار الثقافة «قسم توزيع الكتاب»	٤٦٢٢١٨٢ ٤٤١٣٤٧١	ص.ب: ٨١٥٠ – الدوحة فاكس: ٤٤٣٦٨٠٠-بجوار سوق الجبر
البحـــــرين	مكتبـــــــــــــة الآداب	٢٣١٠٦٢ ٢١٠٧٦٨(المنامة) ٦٨١٢٤٣ (مدينة عيسى)	ص.ب: ٢٨٧ – البحرين فاكس: ٢١٠٧٦٦
الكويــــــت	مكتبة دار المنــــار الإســــلامية	٢٦١٥٠٤٥	ص.ب: ٤٣٠٩٩ حولي شارع المثنى رمز بريدي: ٢٣٠٤٥ فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤
سلطنة عمان	مكتبــــة علـــوم القـــرآن	٧٨٣٥٦٧٧	ص.ب: ١٩٦٠ روي ١١٢ فاكس: ٧٨٣٥٦٨
الأردن	شركة وكالة التوزيع الأردنية	٥٣٥٨٨٥٥	ص.ب: ٣٣٧١ – عمان ١١١٨١ فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣
الـــــيمن	مجموعـــــة الجيــــل الجديـــــد	٧٨٠٤٠-٧١٣٦٣ ٢٧٠٣٨ -٧٥٨١١	ص.ب: ٥٤٤– صنعاء فاكس: ٢١٣١٦٣
الـــــسودان	دار الريـــان للثقافـــة والنـــشر والتوزيع	٤٦٦٣٥٧	ص.ب: ١١١٦٦– الخرطوم فاكس: ٤٦٦٩٥١
مـــــصر	دار السلام للطباعـــة والنـــشر والتوزيـــــــع والترجمــــــــة	٢٧٤١٥٧٨ ٢٧٠٤٢٨٠ ٥٩٣٢٨٢٠	ص.ب: ١٦١ غورية ١٢٠ ش الأزهر – القاهرة فاكس: ٢٧٤١٧٥٠
المغـــــرب	مكتبة منار العرفان للنشر والتوزيع	٧٣٣٣٢٩	نهج موناستير رقم ١٦– الرباط
الجزائـــــر	دار الوعي للنـــشر والتوزيـــع	٠٢١٣١٧٠١٣٦٤٦ ٠٢١٣٥٤٥١١٠١٥	القطعة رقم ١٤٢ ب حي الثانوية – الروبة –الجزائر
إنكلتــــرا	دار الرعايـــــة الإســـــلامية	(01) 272-5170/ 263-3071	Muslim welfare House, 233, Seven Sisters Road, London N4 2DA. Fax: (071) 2812687 Registered Charity No:271680

ثمن النسخة

الأردن	(٧٠٠) فلس
الإمارات	(٥) دراهم
البحرين	(٥٠٠) فلس
تونس	دينار واحد
السعودية	(٥) ريالات
السودان	(٥٠) قرشاً
عمان	(٥٠٠) بيسة
قطر	(٥) ريالات
الكويت	(٥٠٠) فلس
مصر	(٦) جنيهات
المغرب	(١٠) دراهم
الجزائر	(١٢٠) ديناراً
اليمن	(٤٠) ريالاً

* الأمريكتان وأوروبا وأستراليا وباقي دول آسيا وأفريقيا: دولار أمريكي ونصف، أو ما يعادله.

مركز البحوث والدراسات

هاتف: ٤٤٤٧٣٠٠

فاكس: ٤٤٤٧٠٢٢

برقياً: الأمة – الدوحة

ص.ب: ٨٩٣ – الدوحة – قطر

موقعنا على الإنترنت:
www. sheikhali-waqfiah.org.qa
www.Islam.gov.qa

البريد الإلكتروني: E.Mail
M_Dirasat@Islam.gov.qa

مركز البحوث والدراسات

جائزة الشيخ

علي بن عبد الله آل ثاني

للعلوم الشرعية والفكر الإسلامي

إسهامًا في تشجيع البحث العلمي والارتقاء الثقافي الفكري، والسعي إلى تكوين جيل من العلماء، تطرح موضوعها لعام ٢٠٠٨م

«فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري»

قيمة الجائزة (١٧٥) ألف ريال قطري

آخر موعد لاستلام البحوث حزيران (يونيو) ٢٠١٠م

- **مدخل:**

التعريف بالسنن وعلاقتها بأمانة التكليف والاستخلاف الإنساني، وإقامة العمران.

- **المحاور:**

- دور القرآن في بناء الوعي بالسنن الإلهية.
- أسباب غياب الوعي بهذه السنن وأثره في تخلف المسلمين (جدلية القدر والحرية، الفهوم المعوجة والتدين المغشوش...).
- فاعلية السنن:

- في مجال الكشف العلمي ـ قوانين العلم ـ، خصائص وصفات المادة (سنن الآفاق) .

- في مجال الاجتماع البشري وحركة التاريخ (سنن الأنفس).

- التكليف الإلهي باكتشاف هذه السنن وامتلاك القدرة على تسخيرها لتغيير ما بالأنفس، ومغالبة قدر بقدر.
- سبل استرداد الفاعلية وبناء الوعي بالمنهج السنني.

* ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي:

ص.ب: ٨٩٣ – الدوحة – قطر

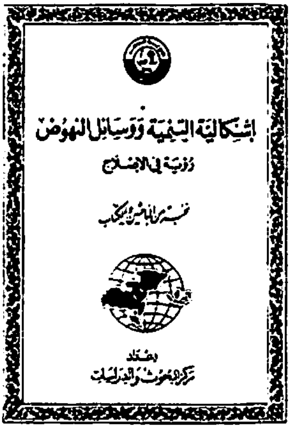
لمزيد من الاستفسار حول الشروط، يمكن الاتصال على :

هاتف: ٤٤٤٧٣٠٠– ٤٣٠٩١٠١(٩٧٤+)- فاكس:٤٤٤٧٠٢٢

البريد الإلكتروني: E. Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

صدر:

إشكالية التنمية ووسائل النهوض
رؤية في الإصلاح



في إطار سلسلة «المشروعات الثقافية الجماعية المشتركة» صدر الكتاب السابع بعنوان: «إشكالية التنمية ووسائل النهوض.. رؤية في الإصلاح»، ليشكل رؤية نهضوية متكاملة وإسهاماً جديداً في بناء العقل الناقد، وتنمية الحس النقدي، وتدريب العقل المسلم على القيام بعمليات المراجعة والتقويم واكتشاف الخلل وتحديد أسباب التقصير ومواطن القصور، انطلاقاً من المرجعية الشرعية في الكتاب والسنة؛ وهو عبارة عن مساهمات ورؤى تتجمع لتشكل مجرى يمكن أن يستدعي إضافات جديدة، ويثير التفكير، ويدفع إلى المراجعة والتقويم، حيث إشكالية التنمية تعتبر هاجساً رئيساً، وكابوساً ثقيلاً، وإشكالية كبرى في حياة الناس، كل الناس، سواء في ذلك الدول المتقدمة الصناعية أو الدول النامية والمتخلفة.. ويأتي الكتاب في ظل المناخ التنموي الذي تعمل فيه دولة قطر استكمالاً لوسائل النهوض ووضع خطة وطنية استراتيجية للتنمية المستدامة.